www.awu.sy

الأسبوع الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

العدد «1348» 2013/6/15 م - 7شعبان 1434هـ
السنة السابعة والعشرون

٢٤ صفحة - السعر: ١٥ ل.س

اطلب مجاناً مع العدد: ملحق الأطفال: «15»

لوحة للفنان التشكيلي بديع جحجاح

ترتيب أحلام مؤجلة...

قراءة بين سطور الأحداث

اللغة العربية والثقافة الرقمية

الإبداع... معناه.. ومراحله

الأهمية المعرفية لبنية المتغيرات الجارية في العالم

ياسمين دمشق

رحلة في الذاكرة

أن تكون أماً... أو لا تكون..

ترتيب أحلام مؤجلة...

راتب سكر

امتلكت مجموعة من الكلمات الدالة على ضعف القوة المادية، ومنها: «الفقراء، والعمال، وماسحو الأحذية، والنازحون، واللاجئون». وما شابهها، دلالات مفتاحية، في الحياة الثقافية والسياسية، مدة طويلة من القرن العشرين، متصلة بأحلام ومشاريع قومية وأممية لإنشاء دول تحكمها دكتاتورية الفقراء لتحقيق العدالة الشاملة، والمحبة والسلام.

تغنى الشعراء طويلاً بتلك الأحلام والمشاريع، راسمين لزنود العمال وإخوانهم الفلاحين صورًا تبرز قوتهم الجبارة في تحطيم جبروت الظالمين الذين يعيثون في الأرض فسادًا. وكتب القاصون والروائيون قصصًا وروايات يتقدم أبطالها الجموع المحتشدة حالمين بمجتمعات جديدة، أساس ملكها العدل، ونبراسها الحرية.

صارت مخيمات اللاجئين والنازحين، وحارات بيوت الصفيح الملحقة بالمدن، أعز لدى الأدباء من «قصر منيف»، فتسابقوا إلى إعلان انتمائهم إلى أهلها، وجاءت قصيدة عمر أبي ريشة الشهيرة «هؤلاء»، بصرختها الداوية:

«امضي لشأنك، اسكتي،
أنا واحد من هؤلاء»

لتؤكد إعلان عهد جديد في تاريخ الأدب العربي، عهد يحلم بغد مأمول، رمزت له – في زمن ولادة قصيدة أبي ريشة المذكورة، من ستينيات وسبعينيات القرن العشرين- شخصية الأم في روايات الشهيد غسان كنفاني، وهي تسقي بالماء والدموع عود الكرمة المزروع في طرف المخيم....

ارتطم قمر الأحلام بظلمة دهره، وتسارعت دورة انكسار الأمل، فامتلأت خريطة الطريق بالمهشمين والمهمشين والمغدورين والمتعبين والراحلين في أوانهم أو قبل أوانهم، قتل غسان وتوفي عمر، وامتدت قوائم الراحلين، واحدًا بعد آخر، كأن جوقة المغنين للأمل والحب والحياة، كانت على موعد مع نفير عام للرحيل، وربما كان ذلك يماشي طبيعة الحياة وهي تنقل رايات أغانيها من جيل إلى جيل...

سمعت رنين تلك الأغاني تستيقظ في ضميري، وأنا أنظر إلى صورة ملتقطة بحكمة لطفل يمسح الأحذية وهو يضحك ملء روحه، فضحكت معه ضحكة عالية، لا تشبه الابتسامة التي قال عنها الأديب سعيد تقي الدين ذات يوم: «ابتسامة المنهزم تقل نشوة الظافر»، فهذه الضحكة مملوءة عزمًا وحبًا وشوقًا للحياة، إنها تشبه صوت محمد منير ورسوخ يقينه بأن الأغاني ممكنة، صوت محمود درويش وهو يعلّم برؤية حكيم عاشق، أن في الحياة ما يستحق أن يعاش...

ربما كانت أحلام الأجيال الماضية في العالم: من فديريكو غارثيا لوكا إلى غسان كنفاني، مشوبة بأخطاء كثيرة، غير أن فرحهم الطفولي بحق الإنسان البسيط في الحب والكرامة والضحك، يبقى خالدًا ومشروعًا... وجميلاً...

لا بد لسكان المعمورة من ترتيب انكساراتهم وهزائمهم وانتصاراتهم، وهم يقلبون صفحات أيام دهرهم، ولهم حق التصرف بمقدرات مادية كثيرة، والاعتراف القاسي بمثل هذا الحق لا يلغي الأمل والرجاء، فمن العبث أن تتحول قصائد الشعراء إلى طلبات استرحام، على الصورة التي رسمها محمد الماغوط بسخريته المرة، ذات يوم، لأن حق الإنسان البسيط في الحب والضحك، سيجد فرصة لجعله حقًا مشروعًا، ولو كلفه ذلك التخلي عن أحلام كثيرة....

من قصص الفن والحياة

أحمد زياد محبّك

سيبقى الفن حاجة إنسانية، يستوي في هذه الحاجة ساكن المغاور والكهوف وساكن ناطحات السحاب، والغني والفقير، والكبير والصغير، فلا غنى للإنسان عن تزيين بيته وحاجاته اليومية وهو يسعى إلى أن تكون دائماً أكثر جمالاً، من الكأس الفخارية إلى الكأس البلورية، وكل ما يستخدمه لا بد أن يكون جميلاً، سواء في ذلك عصا الشيخ العجوز أو قلم الشاب، وحين يذكر الفن تذكر قصص كثيرة عن الفن والفنانين، وبعضها محض خيال، وبعضها الآخر حقيقة، ولها جميعاً دلالات وإيحاءات.

***

وضع أحد الفنانين صخرة مرمرية كبيرة في ساحة المدينة، وبدأ ينحت فيها، وفي كل يوم كان يمر به طفل وهو في الطريق إلى المدرسة، فيقف يتأمل عمله في الذهاب والإياب، إلى أن أنجز الفنان تمثاله، وهو فارس يمتطي صهوة جواد، وفي يوم الاحتفال، أزيحت الستارة عن التمثال، فتقدم الطفل من الفنان وسأله: «كيف عرفت أن هذا الفارس كان يختبئ هو وحصانه داخل هذه الصخرة؟». والقصة تدل على عفوية الطفل وبراءته، فهو يظن أن الحصان والفارس كانا في قلب الصخرة، وأن الفنان استخرجهما منها، كما تدل على دقة الفنان في صنع التمثال، ومحاكاته الدقيقة للواقع.

***

مرضت إحدى الفتيات، وانتابها الشعور باليأس من الحياة، فأغلقت نافذة غرفتها، وأخذت تنتظر الموت، وكانت كل أمنيتها أن تعرف متى ستموت، وذات يوم زارها أحد الفنانين، وما إن خرج من بيتها، حتى أخذ في رسم شجرة ذات أوراق خضراء على جدار مقابل لنافذة غرفتها المغلقة، ولما انتهى من رسم الشجرة، أسرع إلى زيارتها، وطلب منها أن تفتح النافذة، ولما رأت الشجرة أخبرها أنها ستموت عندما تأخذ أوراق الشجرة بالاصفرار، وما عليها إلا أن تعيش حياتها إلى أن تصفر أوراقها وتسقط، وأخذت الفتاة تعيش حياتها العادية، وزال عنها المرض واليأس.

وتدل القصة على دور الفن في إزالة الهم، والتخفيف من حدة الألم والمرض، وتحفيز قوة الحياة، وحاجة الإنسان إلى الفن، كما تدل على خلود الفن، وتبقى الشجرة رمزاً للحياة المتجددة، وهي تذكر بالشجرة المحرمة، وقد أكل منها آدم وزوجه.

***

بنى أحد ملوك الصين قصراً فخماً، ورصد جائزة كبيرة لمن يزين جدارين متقابلين في بهو القصر بالصور، ووعد أن تكون الجائزة الكبرى لصاحب الصورة الأجمل، وتقدم إليه فنان من الصين، وآخر من اليونان، وأخذ كل منهما في العمل، وجعل بينهما ستارة، بحيث لا يرى أحدهما عمل الآخر، وفي يوم الافتتاح دخل الملك مع الحاشية على القسم الذي كان يعمل فيه الفنان اليوناني، فدهش أمام اللوحة الرائعة التي رسمها، إذ صوّر طبيعة خلابة، فيها حقول وأشجار، تكاد تنبض بالحياة، ثم أزيحت الستارة، وتوجه الملك إلى القسم الذي كان يعمل فيه الفنان الصيني، فوجده قد غطى الجدار بمرآة كبيرة، عكست صورة الجدار المقابل، وظهر في الصورة المنعكسة الملك وحاشيته وهم يتجولون داخل تلك اللوحة، فظهرت وقد عجت بالحياة، وحار الملك لمن سيحكم بالجائزة الكبرى، وحكم بها أخيراً للفنان الذي وضع المرآة، لأنه جعل اللوحة تمتلئ بالحياة. وتدل القصة على أن في الفن اتجاهين الأول يحاكي الحياة ويقلدها، كما في المرآة، والثاني يبدعها ولا يقلدها، كما في اللوحة التي رسمها الفنان اليوناني، وهي تلخص أيضاً طبيعة الفن الشرقي، الذي يؤثر أن يقترب من الحياة، كما تلخص ذوق الشرقيين، الذين يفضلون الدقة في محاكاة الواقع، كما تدل على طبيعة الفن الغربي، الذي يفضل إبداع الواقع، لا إعادة نقله، وبصورة عامة تنتصر القصة للواقع والحياة في مقابل الفن، لأن الملك فضل المرآة، لأن الحياة تدب فيها، في حين كانت لوحة الفنان الغربي جامدة، لا حياة فيها، ولعل في القصة ما يدل على غرور الملك، فقد فضل المرآة لأنه رأى ذاته فيها.

***

وطلب ملك آخر من ملوك الصين من أحد الرسامين أن يرسم له لوحة جميلة، تصور الريف، فرسم له حقل حنطة، وفيه سنبلة منتصبة يقف على ساقها عصفور صغير، فأعجب الملك باللوحة، ووضعها في قاعة القصر ليراها الغادي والرائح، وكان الجميع يثنون عليها، إلى أن رآها ذات يوم فلاح دخل القصر مصادفة، فاكتشف فيها خطأ فنياً، سرعان ما أخبر الملك عنه، وهو انتصاب السنبلة، وعدم انحنائها والعصفور يقف على ساقها. وتدل القصة على أن الفلاح كان الوحيد الذي اكتشف الخطأ لأنه يعيش في الحقل، ويعرف واقع الريف، وطبيعة السنابل، وقد تدل على رغبة الفنان في السخرية من الملك، إذ وضع الخطأ في اللوحة، ليكشف جهله، أو لعل الفنان أراد ألا يتقيد بقوانين الواقع، وأن يجعل للفن قوانينه الخاصة.

***

وفي صدر إحدى الكنائس رسم أحد الفنانين لوحة كبيرة للبابا وهو على كرسيه، فكان كلما دخل أحد المصلين إلى الكنيسة انحنى احتراماً، وهو يحسب البابا قاعداً على كرسيه في صدر الكنيسة. تؤكد القصة انبهار الناس أمام الفن الذي يحاكي الحياة ويقلدها بدقة، وهو الاتجاه الكلاسيكي في الفن، وقد تجاوزته الاتجاهات الحديثة في الفن، التي تفضل إعادة تركيب الواقع وفق رؤى الفنان وانفعاله وموقفه من العالم.

***

ورجع أحد الأولاد من المدرسة وحدث والده عن موزة رأى زميلاً له في الصف كان يأكلها، وتمنى على أبيه أن يشتري له مثل تلك الموزة، وهو لم يذقها من قبل ولا يعرفها، وكان الأب فقيراً معدماً، فرسم له الأب موزة، وقال له: هذا هو الموز، يا ولدي. وتدل القصة بوضوح على بؤس الطبقة الفقيرة، التي تحرم من ترف الطبقة الغنية، وتلجأ إلى الفن للتعويض.

***

ويتحدث حنا مينة في روايته» الشمس في يوم غائم» عن فتى يرقص بالخنجر أمام صورة امرأة، وفي لحظة من لحظات الانعتاق والتوحد تخرج المرأة من الصورة. وتدل القصة على قدرة الفن ولو بالخيال على بعث الحياة، والوصول إلى ما لا يمكن الوصول إليه في الواقع المادي الملموس.

***

وكان بجماليون ملكاً على صقلية، وكان فناناً ينحت التماثيل، وقد عزف عن النساء لأنه لم يجد من هي جديرة بحبه، وأخذ ينحت تمثالاً لفتاة من الخيال، أودع فيها كل ما يتمناه من جمال، وسماها جالاتيا، ثم توسل إلى أفروديت ربة الحب والجمال أن تبعث فيها الحياة، ففعلت، فدبت فيها الحياة، وتزوجها وعاش معها هانئاً، ولكن ذات يوم، كما تروي الأسطورة، أطل من نافذته على حديقة القصر، فوجدها في أحضان الحدائقي العجوز وهي تعانقه.

في القصة دلالة على الهرب من الواقع، لأنه لا يحقق الجمال المثالي الكامل، في حين يحقق الفن أقصى ما يتمناه الإنسان من مثال وكمال، ولكن هذا الفن يفقد قيمته إذا ما تحول إلى واقع يومي معيش، ومن الأفضل أن يظل الفن خالصاً للفن، على نحو ما تقول القصة، فالفن أرقى وأجمل، وليس في الواقع سوى القبح والخيانة، ولا تخلو القصة من تشاؤم وسوء ظن بالمرأة، وهي تعبر عن نظرة متخلفة.

***

ويروى عن أوسكار وايلد أن بلدية لندن قد صنعت له تمثالاً، وفي يوم إزاحة الستارة عنه، سأل كم كلف التمثال، وعندما عرف المبلغ الذي كلف، تمنى لو أنهم أعطوه المبلغ لوقف في مكان التمثال بدلاً منه. والقصة تدل على روح المرح، كما تدل على حاجة الإنسان إلى المال، وهي حاجة لا تنتهي، ويبقى الفن أرقى منها وأجمل، ومن تلك القصص ما كان من الفنان فان جوخ إذ قطع أذنه ولفها بمنديل أبيض ثم أرسلها هدية إلى حبيبته، ليؤكد لها حبه، إذ لم يجد أغلى وأجمل من جزء من جسمه يقدمه لها، ويروى أنه كان يعاني من وشيش في أذنه فقطعها في نوبة جنون.

***

وفي أحد المتاحف وقف سائح طويلاً أمام لوحة يتأملها، وأطال الوقوف، فسأله سائح آخر: «تبدو اللوحة وقد أعجبتك كثيراً»، فرد: «بل أعجبني الإطار». وتدل القصة فيما تدل عليه أن الإفراط في العناية بالإطار قد يذهب بقيمة اللوحة، لذلك لا توضع اللوحات الحديثة داخل إطار.

***

وتروي إحدى الحكايات الشعبية أن ثلاثة إخوة كانوا في سفر، ولما خيم عليهم الليل، وحان موعد النوم، وهم في الفلاة، سهر عليهم أولهم الثلث الأول من الليل، وكان نجاراً، فرأى شجرة يابسة، فأخذ يسلي نفسه بها، وصنع منها تمثال امرأة، وفي الثلث الثاني من الليل، سهر عليهم الأخ الثاني، وكان خياطاً، فلما رأى تمثال المرأة، خاط لها ثوباً كساها به، وفي الثلث الأخير سهر عليهم الأخ الثالث، وكان تقياً ورعاً، فصلى لله تعالى، وتوسل إليه أن يبعث الحياة في التمثال، فأجاب الله دعاءه، ولما

البقية.....ص22

قراءة بين سطور الأحداث

محمد إبراهيم حمدان

لكل داءٍ دواء يُستطبُ به
إلاّ الحماقة أعيت من يداويها

ربما كان هذا البيت من الشعر يشكل المدخل الموضوعي في هذه القراءة التي تضع بعض النقاط على الحروف مع علم الجميع أن كثيراً من الحروف ليست بحاجة إلى نقاط.

إن الحرب العدوانية الكونية والمخاض الأليم الذي يمر به الوطن يستوجب منا جميعاً وقفة حاسمة ورؤيــة صادقة وقـراءة موضوعية وجوهرية لهذه الأحداث بمقدماتها ونتائجها من خلال معطياتها وإدارتها وأهدافها.

وإذا كان لكل قضية آلية يتم التعامل من خلالها مع تلك القضية فإننا مطالبون جميعاً بإيجاد الآلية الأفضل للتعامل مع القضية التي يعيشها الوطن على جميع الأصعدة.

وهذا يتطلب الإجابة عن أسئلة أساسية محورها: من؟ كيف؟ متى؟..

وكل سؤال يتشعب ويتفرع في أكثر من اتجاه.

ففي الحوار يحق لنا السؤال التالي: من تحاور؟ أو من ستحاور؟

وفي المعطيات يأخذ السؤال طابعاً آخر:

مـن السبب فـي تهيئة الـظـروف والمناخات والمسوّغات للأحداث؟ وكيف تمّ تلفيق الشعارات والمناورات؟ ومتى بدأت الحكاية؟ وإلى أين ستقود النهاية؟

وفي الجواب يفرض السؤال نفسه مرة أخرى: هل الحوار بلغة «الزناد» أم بلغة «الضاد»؟ ومتى كان القتل وسيلة للحياة؟ ومتى كان الدمار سبيلاً إلى الإعمار؟

وهنا مفارقة كبرى لا بد من الإشارة إليها، فما يتم تدميره وتخريبه هو إنتاج ذلك الفريق الذي نتهمه بالقصور والتقصير.

فالجامعات والـمـدارس والمشافي والطرقات والجسور والماء والكهرباء وسواها من الخدمات الأساسية في المجتمع، هي من أوليات إنتاج ذلك الفريق المتهم، فهل تدمّر لمجرد التدمير؟ أم لإعادة الوطن السوري إلى حجرية العصور؟!

فما معنى الحوار إذن مع جدار لا يملك من أمره شيئاً، ولا يدري إلى أين المصير؟!. وإذا كان يدري فالمصيبة أعظم بكثير.

وفي الجانب الآخر يبقى السؤال مشروعاً والجواب واجباً:

هل كان القرار والاختيار على مستوى المسؤولية في العديد من جوانب الإدارة ومستوياتها ومفاصلها موضوعياً يخدم الأهداف ويحقق الغايات؟!

من المعلوم أن أي مجتمع في العالم يترسخ وجوده من خلال ركائز ثلاثة:

الثقافة والسياسة والاقتصاد. وهـذه الأركـان الثلاثة تشكل الهيكلية الأساسية لأي مجتمع. فهل كانت القرارات في هذه الاتجاهات الثلاثة موضوعية أو موفقة؟ في الجانب السياسي العام كان الموقف مبدئياً ثابتاً لا مساومة ولا مهادنة ولا تفريط ولا تنازل، وهذا هو جوهر الرسالة العربية السورية التاريخية؛ إلاّ أننا في جانب آخر كنا ضحايا عدم القدرة على التمييز بين قضايا التحرر والتحرر من القضايا التي تتراكم بانتظار الحلول الغائبة أو المغيبة في بعض الأحيان.

فأصبحت إنسانية المواقف السورية عبئاً، وأصبح تنكّر الآخر لأبسط القيم والمبادئ والأسس الأخلاقية في العمل والتعامل هوية وقضية.

وفـي الجانب الثقافي تكفي الإشـارة إلـى أن قيادات العمل الثقافي لم تكن في الحد الأدنى من المستوى المطلوب، ويكفي أن نعرف أين تلك القيادات الثقافية وما دورها الآن. وكيف أوصلت المجتمع إلى حالة من التنفير من الثقافة والكفر بها أحياناً، من خلال تقديم المتأخر وتأخير المتقدم لحسابات تسيء إلى الثقافة ومنطلقاتها الفكرية والأدبية ودورها في بناء المجتمع وتنوير الجماهير.

وفي مجال الاقتصاد لم تكن الأمور أحسن حالاً من خلال «دردرة، الاقتصاد السوري وشل قدراته الموضوعية على الفعل والفاعلية، وهذا ما يؤكده سقوط الشركات الكبرى بأيدي إدارتها القاصرة وبرامجها الانتفاعية الخاصة.

وقد تم توظيف جميع هذه المعطيات وتسويقها في إطار من الجهل أو التجاهل المتراكم تحت ذرائع ومسميات مختلفة، لخلق الاختراق المطلوب في زمن الانهيار القيمي والأخلاقي للمجتمع العربي بشكل عام، أمام زحف مشروع «الشرق الأوسط الجديد» على قاعدة الفوضى، وعلى بساط من الربيع الإسرائيلي المستعرب والهادف بالأساس إلى ضرب العروبة بالأعراب والإسلام بالمسلمين، وإسقاط الجميع لصالح الزحف الصهيوني المبرمج منذ مئات السنين.

وهنا لا بدّ من العودة إلى التأكيد أن سوء القرار وسوء الاختيار أسهم إلى حدّ كبير في الوصول إلى هذه الحالة الكارثية، التي قلّما أن تجد فيها رجلاً مناسباً في مكانه المناسب.

ولكن صحوة الوعي الذي يشكل جوهر الهوية العربية السورية كانت ولا تزال بالمرصاد رغم الحرائق والرماد، وصولاً إلى الخلاص الذي يستخلص الدروس والعبر، ويعيد البوصلة إلى اتجاهها الصحيح.

وفي خضم هذا التكالب المريع والعتو الفاسد والغلو الحاقد الذي استشرى في هذه الأمـة، لا بد من التساؤل المشروع: لمصلحة من كل ما يحدث؟! وما علاقة الأديان بالسياسة أو العكس؟! وهل وجد الإنسان من أجل الأديـان أم جاءت الأديـان من أجل الإنسان؟!

من الثابت والراسخ أن الأديان رسالة، والرسالة حتماً من مرسل إلى مُرسل إليه لتعليمه وتوجيهه وتربيته وإخراجه من ظلمات الجهل والجاهلية إلى أنوار المعرفة والسلوك، لكي يكون أهلاً للمسؤولية، وتحمّل نتائج سلوكه ومسؤولياته تجاه الآخر.

والأسئلة الأكثر إلحاحاً في هذا المجال: ما الذي أوصل هذه الرسالات إلى هذا الواقع المريع؟! ومن وراء الأحداث المأساوية التي لم تتوقف على امتداد القرون؟!

من استبدل التوراة بالتلمود؟! ومن استكتب المسيح سبعة أناجيل؟! ومن استقرأ الإسلام سبع قراءات للقرآن؟! ومن هم أبطال هذا التمزق والتشرذم في رسالات الإله الواحد والإنسان الواحد؟!

إن التخريب المتنامي فـي البناء الإنساني المتصاعد شكّل ولا يزال هدفاً استراتيجياً للقلة العاجزة عددياً عن السيطرة، فاستعاضت بالعدة والعتاد عن ذلك العديد العاجز؛ فبدأت تتسرب كخفافيش الظلام تارة، وتارة بابتداع وتلميع هذه الشعارات كانت ولا تزال هي العدو الأول لها على امتداد الزمان والمكان، وتارة أخرى بالتسلل الخفي إلى المفاهيم والقيم الإنسانية لضربها من الداخل، وتشويه مقدساتها وروحها، وإبعادها عن الغايات والأهداف التي وجدت من أجلها.

ومن خلال مراجعة الفكر الماسوني الصهيوني تتضح كل القضايا لمن أراد إلى معرفة الحقائق سبيلاً؛ فبروتوكولات الحكماء وسلوك السفهاء وضياع الأغبياء كل ذلك شكّل المدخل الأوسع والحامل الأهم لتحقيق تلك الأفكار الإجرامية بحق الأوطان والإنسان معاً، ولـم يكن الإسـلام المحمدي بمعزل عن تلك التأثيرات والمؤثرات، وهذا ما يبدو جلياً واضحاً في

البقية.....ص22

الافتتاحية

حسين جمعة

لماذا سورية...؟!.

نرى أن موقع سورية جرَّ عليها شهية الطمع والحقد،... والتخطيط لمزيد من تخريب النفوس وتدمير الحياة بإحداث كثير من المتاعب بوصفها تجسّد أهمية كبرى على مستوى العالم، ولا سيما بعد أن زرع الكيان الصهيوني خنجراً مسموماً في فلسطين وضمنت أمريكا أمنه منذ وجوده وقامت بالحروب من أجل ذلك كما اعترف به كولن باول أمام منظمة (إيباك) في (2003/3/30م): «إن الولايات المتحدة عازمة على إنهاء التهديد العراقي لإسرائيل، وإقامة نظام ملتزم معها بعملية سلام في بغداد، وإن سورية سوف تتم محاسبتها». ولهذا ازدادت الهجمة المسعورة عليها حين استطاعت توظيف طاقاتها ومواردها بإرادة خلاّقة لضمان القرار السيادي، والأمن والاستقرار لشعبها، فضلاً عن تطوير قطاعها الاقتصادي والاجتماعي وإيجاد مشروع ثقافي وطني ومشروع إعلامي تقني يخدم التنمية المستدامة والشاملة. فسورية نجحت في تكوين تجربة بناء الدولة وفق صيغة وطنية قائمة على المواطنة، وشكلت اللحمة الوطنية من خلال الوعي الناضج بقيمة الانتماء وأهميته فتراجع أمامه أي انتماء آخر أصغر منه...

فكل من يعرف سورية يُدرك مدى التطور والتحديث الذي وصلت إليه على صُعُد شتى ثقافياً وعلمياً، اجتماعياً وسياسياً، اقتصادياً وإداريـاً، عسكرياً وتقنياً...

فأينما نظرت وجدت تطوراً ملموساً؛ وإنجازاً لا نظير له إلا في الدول المتقدمة. ومن يقف عند تطوير القوانين والارتقاء بها ـ مثلاً ـ ويحكم عليها بحياد كامل يدرك ما حققته من تقدّم يضاهي أكثر القوانين العالمية تقدماً من قانوني الأحزاب والانتخابات إلى قانون الإعلام إذا تجاهلنا الدستور المتطور الذي جرى الاستفتاء عليه؛ واختاره السوريون لما يتصف به من تقدم ملموس بالقياس إلى الدستور السابق... أما تطوير البنية القتالية والنضالية للدولة السورية فلا يمكن تجاهلها، وهي التي عززت القدرة القتالية للجيش العربي السوري علاوة على تزويده بأحدث منظومات الأسلحة العسكرية؛ ولاسيما الصاروخية، وبأكثر التقنيات تطوراً وأشدّها فاعلية لمواجهة العدو الصهيوني أو أي عدوان خارجي، من دون أن ننسى الدعم المادي والمعنوي الجبار للمقاومة الوطنية في الوطن العربي وحركات التحرر العالمية والمشاركة النشطة في المنظمات الدولية الفاعلة...

وبناء على ما تقدم يلحظ المراقب المحايد تعاظم الدور العربي والإقليمي لسورية وقيادتها، وانتقالها إلى موقع ريـادي متقدم ونشط في الأوسـاط الدولية(1)... فإذا أضفنا إلى هذا الدور تبنّيها اللامحدود لمفهوم التعددية السياسية على الساحة الداخلية؛ وإقامة التنافس بينها على أساس ديمقراطي يمكنه تطوير بنية الجبهة الوطنية التقدمية وآليات عملها من جهة؛ ويتيح المجال لنشوء أحزاب سياسية تسهم في بناء سورية وازدهارها من جهة أخرى، أدركنا أن ما يجري في سورية لم يكن إلا نتيجة لمواقفها الوطنية والقومية ودورها الإقليمي والدولي، وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن القيادة السورية يمكن أن تعادي تطلعات أبناء وطنها إلى مزيد من التقدم والارتقاء والوصول إلى مجتمع الكفاية والعدل... أو أن تمنع التظاهرات الشعبية السلمية التي تحدد أهدافها لمزيد من إشاعة الحرية وممارسة الديمقراطية ومحاربة كل أشكال الانحراف والفساد؛ وهي التي ألغت قانون الطوارئ وأصدرت قانون التظاهر السلمي... ثم إن أي شعب أو قيادة وطنية مسؤولة لا يمكنها أن تكون ضد الحراك الاجتماعي ما دام سلمياً؛ ولا يهدد الوحدة الوطنية والعيش المشترك؛ ولا يتبنى شعارات طائفية أو عرقية أو هَدَّامة؛ ولا يضرُّ بالممتلكات العامة والخاصة؛ ولا يستعدي أي قوى ضد وطنه أو يستدعيها لتهديد وجوده، وتشويه هويته وتاريخه...

***ـ ثم نجحت سورية في جعل القومية حقيقة خالدة.... وجعل وحدة المصير العربي أساساً متيناً لبناء الدولة القومية على أساس القواسم المشتركة للهوية الواحدة التي تشكل العروبة مادتها والإسلام روحها وفق مقولة تلازم العروبة والإسلام... لهذا تبنت أولوية القضايا العربية وأولها قضية (فلسطين).ويؤكده قول الرئيس الراحل حافظ الأسد في (1981/4/11م): «إننا نريد فلسطين قبل الجولان؛ ونحن نريد سيناء قبل الجولان؛ وبعد هذا نريد الجولان».**

لذلك كله كانت سورية هدفاً للدوائر الصهيو ـ أمريكية؛ فهل نحن مدركون؟!!

---

(1) - انظر مقالتنا حول دول البحر الأبيض المتوسط في مجلة (الفكر السياسي) اتحاد الكتاب العرب ـ العدد (46 ـ 47) ـ شتاء/ ربيع (2013م).

اللغة العربية والثقافة الرقمية

لطفيّة إبراهيم برهم

إذا كانت الثقافة تعني، لغوياً، التعلّم، والتهذّب، والتثقيف فإن الرقمية تحيلنا على العالم الإلكتروني بوصفه ثورة علمية في العصر الحديث؛ لذلك يلتبس مصطلح «الثقافة الرقمية» على كثير من الباحثين؛ إذ قد يُفهم بوصفه علاقة مباشرة بين الثقافة بوصفها مكوّناً معرفياً، والرقمية بوصفها تقنية، بحيث تكون المحصّلة أشكالاً ثقافية رقمية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعكس هذا المصطلح ما أوجدته الثورة الرقمية (المعلوماتية/الانترنيت) من أنماط ثقافية، وسلوكيات جديدة/وافدة.

لكن الثابت لمجموعة من المفكرين أن الثقافة الرقمية هي الثقافة الوافدة على مجتمعاتنا في العصر الحديث؛ العصر المعلوماتي الذي رافقته ثورتان تكنولوجيتان هما: ثورة الاتصالات، وثورة المعلومات (الأجهزة الالكترونية).

مصطلح الثقافة الرقمية، إذن، يعني الإشارة إلى معطيات ثقافية ناجمة عن استخدام التكنولوجيا الالكترونية الجديدة، وما نتج عنها من هوّة فاصلة بين الدول المتقدمة، والدول النامية في الوصول إلى مصادر المعلومات، والمعرفة، والقدرة على استثمارها، ولقد أطلق على هذه الهوّة اسم (الفجوة الثقافية)، أو (الفجوة الرقمية)، كما يرى الدكتور «نبيل علي». وهنا نتوقف عند سؤال مفاده: مَنْ هو المثقف رقمياً؟ هل هو الشخص القادر على استخدام أجهزة الكومبيوتر، والخدمات الالكترونية لمواكبة حياة المجتمعات الحديثة، والمشاركة فيها بثقة؟

يرى بعض المشتغلين في هذا المجال أن جوهر الثقافة الرقمية يكمن في تمكين أفراد المجتمع من استخدام التطبيقات الرقمية الحقيقية، لما لها من أهمية في إنجاز أعمالهم الوظيفية والشخصية (حسين راشد: الثقافة الرقمية والانتماءات الالكترونية)، في حين يرى «حبيب سروري» أستاذ علوم الحاسوب في فرنسا أن استخدام العرب للبريد الإلكتروني، وتصفح مواقع وصحف في الانترنيت، وتنزيل المواد الالكترونية من مقالات وأغانٍ، ليس انتماءً للعصر الإلكتروني، أو الثقافة الرقمية (حبيب سروري: اللغة العربية في الزمن الرقمي)، وهي رؤية تفتح السياق على عنوان الورقة المقدمة هنا: اللغة العربية والثقافة الرقمية؛ لنتساءل عن موقع لغتنا في الثقافة الرقمية؟

إن المتأمل في لغتنا في العصر الرقمي يجد أن اللغة العربية تعاني من إشكاليات، منها:

1 ـ اللغة العربية لغة من دون بناء تحتي معرفي:

قام الغرب والشرق الأقصى برقمنة البناء التحتي للمعارف والحياة العلمية من نصوص علمية، وتقنية، وثقافية متنوعة، فأسّسوا بوابات أنترنت بلغاتهم للبناء التحتي المعرفي، إضافة إلى وجود مكوّنات جديدة للبناء التحتي للمعارف الرقمية؛ مكوّنات لم توجد قبل ظهور الانترنيت؛ لأن عصر المعلومات راكم ثقافة جديدة مغايرة، أنتجت مفردات لغوية جديدة، ومصطلحات جديدة، دخلت على معاجم اللغة وقواميسها (الموسوعات يتمّ تطويرها يومياً بشكل تفاعلي، تعاضدي، كوني، مما جعل الموسوعات الورقية شديدة الفقر والتخلف). وتتفاقم هذه الإشكالية عندما نعلم أن هذه الموسوعات تخلو من الترجمة إلى اللغة العربية، والكارثة الأكبر أنه في أغلب الأحيان لا يوجد مرادف عربي لهذه المفردة أو لذلك المصطلح.

باختصار شديد: تمتلك اللغات (ماعدا اللغة العربية) قاعدة تحتية، معرفية، رقمية، متعددة الوسائط، في مجالاتها العلمية، والتقنية، والثقافية؛ لذلك ظهر خوف من تدني وجود اللغة العربية على الانترنت؛ إذ لا يزيد حضورها على 1%، بالمقارنة مع تقدّم اللغات الأخرى، ويعدّ هذا الرقم تهديداً لهذه اللغة التي لم تُعَدّ، الآن، من اللغات العالمية العشر الأكثر انتشاراً على الشبكة العنكبوتية. ويثبت ذلك التقرير السنوي لمنظمة اليونسكو الذي أفاد (أن اللغة الإنكليزية، واليابانية، والألمانية، والصينية، والفرنسية، والإسبانية، والروسية، والإيطالية، والكورية...، هي أكثر اللغات انتشاراً وفاعلية على الانترنت، بينما لم يزد وجود اللغة العربية على نسبة 1% في المئة من جملة المادة المحرّرة المنشورة على الشبكة).

2 ـ اللغة العربية لغة تعاني من الفقر بالترجمة:

من المعروف أن حملة الترجمة في العصر العباسي؛ ترجمة الكتب الأجنبية (إغريقية، سريانية، فارسية، سنسكريتية، حبشية...) في مجالات عدة: الفلسفة، والمنطق، والطب، والفلك، والرياضيات، والأدب، أغنت العربية بروافد فكرية، وكلمات، ومصطلحات كثيرة؛ لتصبح بذلك لغة الحضارة الكونية في ذلك الوقت، أما اليوم فلغتنا تعاني من الفقر بالترجمة فقراً حدّ من الروافد الفكرية، والمصطلحات العلمية التي تغنيها.

3 ـ اللغة العربية لغة بلا مدوّنة:

مدوّنة أية لغة هي مجموعة هائلة من عيّنات النصوص المكتوبة أو المنطوقة، الآتية من قطاع متنوّع، وعريض، ومحايد، ومن مصادر متنوعة (كتب، ومجلات، وصحف، ونقاشات، ومواقع على الانترنت) تعطي صورة دقيقة عن اللغة في أشكالها المختلفة، واستعمالاتها اليومية، والعلمية والأدبية في فترة زمنية محدّدة، وتسمّى هذه المدوّنات، أحياناً، «بنوك اللغة».

ثمّة بوابات على الانترنت تسمح بالوصول إلى قواعدها البيانية الضخمة، والبحث المحدّد فيها، أو معالجتها أوتوماتيكياً بشكل إجمالي، وهي بوابات أسهمت في تأسيس القواميس، والمعاجم المتخصّصة في المجالات اللغوية والعلمية والتقنية؛ إنها المختبر الذي تؤسس عليه الدراسات اللغوية لبنية اللغة، وظواهرها، ودلالات كلماتها (معاجم تاريخ الكلمات، وأصولها، وعلاقتها باللغات الأخرى)؛ إنها المعاجم الإيتومولوجية، وهي معاجم لا توجد في لغتنا العربية، مع أنها من أوائل اللغات التي أسّست المعاجم اللغوية منذ «الخليل بن أحمد الفراهيدي»، وربما «الأصمعي».

4 ـ اللغة العربية لغة بلا «متعرّف ضوئي للأحرف»:

المتعرّف الضوئي للأحرف، أو القارئ الضوئي الآلي، برنامج قاعدي ضروري تمتلكه كلّ لغة، يسمح بتحويل النص المصوّر بكاميرا أو ماسح ضوئي (سكانر) إلى نص رقمي، يمكن فتحه بناشر إلكتروني مثل «وورد»، وأرشفته بوصفه ملفاً على الكومبيوتر.

يشكّل عدم تصميم برمجية قارئ ضوئي، آلي لأحرف اللغة العربية، حتى الآن، عائقاً كبيراً، يمنع من دخولها عصر الرقمنة؛ لأنه الوحيد الذي يسمح بتحويل صور صفحات الكتب إلى نصوص رقمية، تؤسس مكتبات رقمية، تسهم في انتشار الثقافة العربية انتشاراً يفتح باب الحوار بيننا وبين الآخر.

5 ـ اللغة العربية لغة بلا تقنيات تصحيح ومحركات بحث ملائمة؛ أي أنها بلا مصحّح لغوي على الشبكة العنكبوتية، وهنا نتوقف عند معضلة اللغة؛ لغة الانترنيت بوصفها الكلام المكتوب، وكلّ ما لدينا لوحة مفاتيح تقتصر على حروف ألفبائية، وأرقام، وبعض الرموز الأخرى.

6 ـ إن البنود الخمسة السابقة الذكر توصلنا إلى نتيجة مفادها أن لغتنا العربية لغة لم تدخل عصر الرقمنة بعد؛ أي أنها لم تدخل في الثقافة الرقمية.

وبعد، فإن «الفجوة الرقمية» دفعت العرب إلى ضرورة التوقف والبحث في جوهر هذه القضية، فوجدوا أنه يمكننا أن نتفاعل مع الثقافة الرقمية، ونردم الفجوة بين الواقعي والافتراضي، بحيث لا يستمران بوصفهما عالمين منفصلين، بما يأتي:

- تنمية كوادر فنية بالكومبيوتر، وإقامة تكتل عربي معلوماتي.

- إكمال البناء التحتي للغة العربية على الانترنت: (مكتبة الإسكندرية التي تحوي ست مكتبات متخصّصة، ومشروع دولة الإمارات العربية، واتحاد كتاب الانترنت العرب ومقرّه عمّان).

ولا بد من أن نشيد بدور «الإسكوا» من خلال مبادرة المحتوى الرقمي العربي، التي بدأت منذ عام 2003 في الوطن العربي، ومن خلال إطلاق مشروع «تعزيز صناعة المحتوى الرقمي العربي من خلال الحاضنات التكنولوجية» الذي أطلق عام 2007، إضافة إلى جهود «مجموعة اللغة العربية الرقمية في مجال الذكاء الاصطناعي» بإشراف د. «محمد زايد» بالمغرب؛ إذ تتبنّى هذه المجموعة البحث في إنشاء المعجم الموحّد للتقنيات الحديثة باللغة العربية.

- بناء بوابات رقمية عربية: علمية، وتقنية، وأدبية.

- صناعة عربية للمحتوى، لا صناعة محتوى رقمي عربي؛ أي أن يكون المحتوى عربياً وأجنبياً، وباللغتين العربية والأجنبية، وهذا يعني الاستعانة بالمحتوى الأجنبي، ومخاطبة غير العربي بالمحتوى الجديد. ويشمل هذا البند العمل على أدوات تصميم البرامج، وصفحات الويب، وأدوات النشر الإلكتروني، وآلات البحث، مع الوسائل الرقمية لأنساق الرموز المختلفة من نصوص وصور وأشكال...

- الاهتمام بالترجمة.

- الانطلاق من مفهوم الاتصال إلى مفهوم التواصل.

إن العمل على تحقيق البنود السابقة سيسهم في تقليص «الفجوة الرقمية» بين الإنتاج البحثي والعلمي باللغة العربية، والإنتاج البحثي والعلمي باللغات الأجنبية، محققاً وجوداً حقيقياً للغة العربية على الشبكة العنكبوتية، التي لا تبقى ناقلاً، بل تصبح بنية تحتية في الكتابة باللغة العربية؛ وبذلك نحافظ على لغتنا بوصفها مقوّماً مهمّاً من مقوّمات الانتماء والهوية، وكلّ هذا يعني أن القصور فينا لا في لغتنا.

قراءة أمبريقية في بنية الثقافة العربية

عماد خالد رحمة

إنَّ أزمة النقد الذي هو إما غائب تماماً وينظر إليه الكثيرون بوصفه من أدوات التدمير البنيوي للنصوص, أو بعدّه سلاحاً مسلطاً على الآخر (مردّ الداء) و(سبب المحنة) في حين أنه إذا ما انصبّ على الذات وساءل الهوية العربية اليوم في مكوناتها وأسسها لابدَّ كاشف عن أدواء تعاني منها هذه الثقافة وتنفر من النظر إليها ومواجهتها. ولعل إحدى أزمات الثقافة العربية اليوم وأكثرها نكوصاً بأفرادها، هي أزمة التعاطي مع الأفكار والمفاهيم وأصول الثقافة العربية الغنية التي نعتز بها أيما اعتزاز, وإنَّ التعاطي مع الأفكار والمفاهيم والتصورات الثقافية من موقع سجالي دفاعي، يقلّل من إمكانية تفكيكها وتحليلها لإدراك طبقات المعنى فيها، ويجعل إمكانية تحديد مضامينها المعرفية، وتحولاتها التاريخية، ودلالاتها المنطقية، عملية غير ممكنة، ما يسقط العقل في عدمية ابستيمولوجية، تغيب معها كل مساءلة نقدية للمفهوم عن تاريخيته وأطره المعرفية وكيفية انبنائه، وهو ما يجعل حقل ابستيمولوجيا العلوم الإنسانية (الثقافية) محوراً لتوصيف الارتجاج المعرفي الكبير الذي مس بناء العلم والثقافة والفكر في اللحظة المعاصرة. حيث يمكن القول إن النزعة العلمية بقيت ابستيمولوجيا واثقة من ذاتها وبنائها المفاهيمي والمنهجي؛ فعلى الرغم من نوعية المراجعات النقدية العديدة التي أنجزت خلال تاريخ العلم الإنساني والثقافة الإنسانية، لم يكن أثرها ينفذ إلى درجة المساس بالبناء المعرفي العلمي من جهة أسسه المتجذرة في الوجود الإنساني، إنما كانت مجرد تعديلات في المفاهيم والمدلولات والنظريات؛ بل حتى الثورات العلمية الكبرى التي بدلت نماذج التفكير في كليتها، أي بلغة (توماس كوهن) بدَّلت براديكمات العلم، وأحدثت قطائع ـ بمدلولها الباشلاري ، لم تنته إلى مساءلة العلم ذاتـه، إنما كل ثـورة من تلك الثورات كانت تنحصر في مساءلة النظرية العلمية السائدة، ثم تخلص إلى إنزالها من عرشها وهيمنتها على التفكير العلمي، وإحلال نظرة بديلة مكانها. إن أشهر التحولات الجذرية التي شهدتها الفيزياء القديمة حدثت مع النظرية الكوبرنيكية، لكنها رغـم حـدة الانعطافة التي دشنتها في تاريخية الوعي الفيزيائي، فإنها لم تـؤزم علم الفيزياء ذاته، ولم تسائل أسسه، إنما ساءلت نظرية بطليموس حصراً؛ حيث غيرت من طريقة رؤيته، ورؤية الفيزيائيين، إلى السماء وحركة الفلك. لكن، منذ منتصف القرن التاسع عشر وطوال النصف الأول من القرن العشرين، حدث حراك معرفي متميز خلخل البناءات المعرفية والعلمية والثقافية، من جهة مرتكزاتها المنطقية، الأمر الذي خلص بها إلى ما سيصطلح على تسميته (أزمة إدراك المفاهيم)، أزمـة ستدفع العلماء والمثقفين إلى استشعار وعي ابستيمولوجي قلق يسائل مدى الصدقية والمشروعية للمفاهيم والمنهجيات العلمية وأسس النقد الثقافي؛ بل أوصلهم إلى حد الوقوع في عدمية معرفية انمحت فيها الدلالة، فانتصبت أزمة المعنى بكل شموليتها وجذريتها.

والواقع أن ثمة مفارقة قد تعترض القارئ عند تأمل وضعية الفكر والثقافة والعلم في القرن الواحد والعشرين، أو بداية الألفية الثالثة، إذ قد يظن أن هذه الأزمة التي عصفت بالمعرفة العلمية والفكرية والثقافية ينبغي أن تنعكس على أدائها وإنتاجها، فيصيبها الاهتزاز والاختلال والضمور، بينما العكس هو الذي حصل، يقول إدغار موران: (في الوقت الذي يشيد فيه قرننا الواحد والعشرون هذا صرحاً رهيباً من المعارف، يغوص وبشكل مذهل في أزمة) أسس المعرفة الفكرية والثقافية والعلمية.

إن أزمة إدراك المفاهيم، تلك التي بلغت من الجذرية حد إيصال التفكير العلمي إلى حالة افتقاد الأساس وغياب المعنى، ليس المقصود بها حصول انهيار في الممارسة العلمية، أو تجمد اقتدارها على الفعل والاكتشاف والإبداع، بل إن التأزم مس أساس العلم ولـم يمس حركته. وهـذا ما جعل هيدغر يعتقد, خلافاً لادمونت هوسرل, أن (أزمة إدراك المفاهيم) لا تمس إلا البنية المفاهيمية الرئيسية للفكر والثقافة والعمل، ولا تمس صيرورة الفعل الفكري والثقافي والعلمي. فالأزمة لم توقف صيرورة الممارسة الفكرية والثقافية، بل مست يقين العلم في ذاته، ومن الملاحظ أن هذه الأزمة إن كانت قد بدأت في الرياضيات سنة 1897 بمفارقة بورالي - فورتي المتعلقة بنظرية المجموعات التي أسسها جورج بورباكي، فإنها سرعان ما ستتمظهر أيضاً في مختلف حقول العلم في المنطق والفيزياء والبيولوجيا, وفي توقيت متقارب، الأمر الذي أشعر المشتغلين بالعلوم بوجود أزمة حادة تحتاج إلى مراجعة نوعية. وبسبب شمول هذه الأزمة جميع أنماط العلوم، ستهتز أيضاً الأسـس المنهجية لجميع الأنموذجات المعرفية العلمية، سواء كانت تلك الأسـس صورية استنباطية، أو استقرائية تجريبية.

وحدة أو قوة الأزمة راجعة إلى ما قلناه ابتداء، أي إنَّ صيرورة الفكر والثقافة والعلم وإيقاعات تحولاته لم تشهد من قبل ما يشبهها، إذ لم ينحصر فعل التأزم هذه المرة في طرح إشكالات أو عوائق جزئية ولا حتى عوائق ابستيمولوجية كبرى تعترض نظرية ما، بل مست البناء العلمي والفكري والثقافي بأكمله - العربي والغربي معاً - مست الأسس الجذرية في أعمق أعماقها، فأشعرت العلم أول مرة بأنه بلا أساس مكين، وبفعل ذلك شهدت بداية القرن العشرين نقاشات ثرية تشاركت فيها فعاليات من خلفيات معرفية متنوعة، فلسفية وعلمية وفكرية وثقافية غربية وعربية، بقصد معالجة مشكل تأسيس اليقين العلمي على وجه الخصوص وفي النظرية الاستقرائية وما يرتبط بها من مفاهيم الاستقراء والسببية والكلية، والموضوعية، والحتمية.. كان النقاش دائراً بين أينشتين، وهيزنبرغ، وكارل بوبر، ولاكاتوش، وفيراباند.. كما دار بين فرج الشريطي وعفيف بربوش ومحمد أركون وعبد الوهاب شعلان. ولم يغفل هذا النقاش استحضار التراث الفلسفي الرشدي وابـن عربي والهيومي والكانطي الناقد لانطلوجية مقولة السببية، موسعاً منه إلى مساءلة مختلفة البنيات المفاهيمية المشتغل بها في المقاربة الفيزيائية للوجود. وعلم الفلك العربي، والتصوف الإسلامي. ولعل أهم النتائج المترتبة عن هـذه الرؤية وهـذا الوعي، إدراك أن الهوية بدورها، سواء الهوية الثقافية العربية (الإسلامية) أو الهوية الغربية، وتبعاً لذلك الهوية العربية المعاصرة هي مجال للتغيير والتحوّل، كما أنها أرض التلاقح والتفاعل مع الغير؛ سواء أكان الآخر الغربي أو الطرف الاجتماعي المقابل تدعيماً لقيم التحاور، وإيماناً بأن الحقائق ما هي إلا مواضعات هدفها الإصلاح في الأرض وتعميرها والحفاظ على الجنس البشري والرقي به. ومن نتائجه كذلك إدراك ضرورة ثنائية الخاصة والعامة بشتى تمظهراتها، بما هي لا تفعل شيئاً سوى حفر أخاديد القطيعة في صلب المجتمع وتعطيل الحوار بين أطرافه.

إن البحث في موضوع الهوية العربية ليس إلا جزءاً من قضية هامة أعم وأشمل يطلق عليها حينًا بالأصالة والمعاصرة، وفـي بعض الأحيان الأصالة والحداثة. كما يطلق عليها في أحيان أخرى التراث والتحديث، وغير ذلك من المسميات التي تصب جميعها في قضية تأصيل الفكر العربي والفن العربي على الرغم من أن قضايا التنظير في مسألة الإبـداع العربي عموماً كثيراً ما تكون سابقة على الإبـداع نفسه، أو بالأصح قافزة عليه معبأة بالأحلام والطموحات التي تنسجم مع مراحل التطبيق أو لا تعبّر عنه، وربما لا تؤدي إليه لأنها أشد طموحاً منه من الناحية الفعلية، على الرغم من ذلك يمكن القول بأن استجابة المبدع العربي لهذه الدعوة كثيراً ما تأخذ مسارات مختلفة غير مرتبطة بالدعوات التنظيرية أو مستجيبة لها؛ لأن دعوات التنظير للتأصيل والبحث عن هوية عربية جاءت كرد فعل على موقف الضعف الثقافي عموماً، وفي مواجهة حضارة الغرب المتقدمة والمتفوقة تكنولوجيا والغازية في آن، التي جسدت تفوقها بقوة التفوق السياسي والعسكري والاقتصادي بصورة قهرية على الآخر. من هنا نجد أن محاولات التأصيل ودعوات الأصالة لا تعدو أن تكون تتمة لمقدمات الخروج من إطار التبعية الذي فرض يوماً ما على الوطن العربي بالقوة، وفي الوقت نفسه تظهر محاولة المبدع العربي لرفض الهيمنة الثقافية وكأنها محاولة شرعية لتتويج أعماله بقيمة ثقافية مميزة تكسب احترامها وتفوقها من جوهر الخصوصية وليس مجرد التقليد. لقد اختلف الأدبـاء والكتّاب والمثقفون العرب حول العديد من الموضوعات؛ سواء على صعيد مناقشاتهم أو على مستوى ممارستهم. لدرجة أنَّ هناك من حاول تخطي هذا التوتر بإدخال عناصر تجديدية على اللوحة الثقافية العربية، وهناك من دعا إلى ضرورة إعادة النظر في التربة الثقافية العربية من أجل وضع إطار نظري لثقافة عربية ملتزمة بقضايا الأمة العربية على غرار ما هو حاصل في الأشكال الأدبية والفكرية الفنية والتعبيرية الأخرى. هذا التوتر بين التأصيل والتحديث أدى بعدد كبير من المبدعين العرب إلى الالتجاء إلى نوع من التوفيقية، حاولت دمج عناصر الحداثة مع رموز التراث في أشكال تفاوتت قيمها الجمالية والفكرية، واختلفت درجة ارتباطها بالقضايا اليومية للمجتمع العربي بين هذا القطر أو ذاك وبين هذا المبدع أو ذاك.

إن المتابع للمشهد الثقافي اليومي وتحديداً ما يكتب في الصفحات الثقافية للصحف السورية الثلاث - تشرين والثورة والبعث - مع ما تصدره من ملاحق إضافة إلى ما تنتجه أدبيات اتحاد الكتاب العرب، يجد أنَّ كل دعـوات التأصيل قد اقترنت ببعض الأحـداث السياسية الهامة، وتـزداد حدة هذه الدعوات ويكثر البحث فيها كلما اشتعلت المشكلات السياسية أو المجابهات الحضارية الحاسمة؛ ولعل الأحـداث العسكرية المفصلية والهامة التي شهدتها المنطقة العربية مثل هزيمة 1967 ، وحرب تشرين التحريرية، وتطوّر فعل المقاومة الفلسطينية في الانتفاضة الأولى والثانية، وغـزو الجنوب اللبناني ومن ثم تحرره واحتلال العراق الشقيق من قبل أول دولة إرهابية في العالم وأقواها، وأخيراً الحرب الوحشية التي تشنها قوى الغرب الأوروبي والأمريكي الصهيوني بأدوات عربية وإقليمية في مقدمتها تركيا، مزودة بفكر الإسلام السياسي الظلامي المتمثّل بـ (جبهة النصرة) والإخـوان المسلمين، والعديد من القوى الظلامية؛ جميع هذه الأحداث تعطي دلالة على أن قضية التأصيل لها علاقة برد الخطر الداهم على وطننا وثقافتنا وهويتنا، فهي تعبير عن لحظة خوف حضارية عن طريق استخدام الأسلوب الدفاعي بالاتجاه نحو الداخل، مع أن القضية ليست دائماً بهذا المعنى السيكولوجي؛ فالدعوات الهادفة إلى خلق ثقافة عربية أصيلة لها أهداف ايديولوجية ومنطلقات فكرية راسخة تجعل من الواقع المُعاش مبدأ وهدفاً، وترتكز على مفهوم القوميات؛ إن كل قومية في وسط هذا العالم الضاج تبحث لها عن خصوصية مميزة لها تميزها عن غيرها من القوميات؛ فالمسألة ترجع إلى قضية إثبات الذات عن طريق البحث عما هو مغاير للآخر ومنسجم مع الـذات. وهكذا يأتي البحث الدائم من جانب المبدعين العرب لأجل تقديم مشروعية لإنتاجهم الأدبي والفني الذي ينبع من الخصوصيات المحلية القطرية والقومية. والواقع أن الوعي لهذه القضية يعد مسألة إيجابية في حد ذاته؛ لأنه المدخل لوضع الأسئلة والبحث عن الجديد, والتساؤل عن وضعية الموقف الإبـداعـي زمنياً ومكانياً, وذلـك لغرض تأسيس العلامة الفارقة بين سلسلة من الإنتاجات العربية المقلّدة للأنموذج الغربي، أو المعبّرة عن الأنموذج الذاتي وطموحات تختزنها مجموعة من الأعمال التي تظهر بين الحين والآخر.

ان تحديد الهوية القومية ليس من الأمـور السهلة؛ إذ أن ذلك يـقتضي دراسة دقيقة وممتعة للتراث الفني والأدبـي والفكري، ثم العمل على تحديد خصائص هذا التراث والتوسع في تنظير هذه الخصائص، ولا نعتقد أننا خطونا خطوات واسعة في هذا المجال، ذلك أن مفهوم التراث ما زال يكتنفه الغموض. إن عملية التلازم بين الأصالة والحداثة لا تتحقق إلا بفعل الإبـداع، والإبـداع هو ماهية الفن، وما تعبير الحداثة سوى مرادف لتعبير الإبـداع، ونحن نعترف أن مفهوم الإبداع في هذا العصر أخذ شكلاً انفجارياً نظراً لتجاوز الأبعاد المستحيلة في مجال السرعة والحجم والطاقة؛ فهل تقوى الصحافة السورية؛ بل الإعلام السوري بصورة خاصة والإعـلام العربي بصورة عامة، على تحقيق المرامي والطموحات المجادل فيها؟ مع العلم أنها ساهمت وبشكل مبكّر في الإسهام في بناء الإنسان العربي، وأنضجت لديه الحس القومي بقوة، وعملت على تحقيق الحداثة التي تعدّ استمراراً للعراقة، كما تعدّ بحد ذاتها تراثاً للمستقبل، وتحديد الملامح العربية في العصر الحديث ما يساعد على تحقيق الوحدة العربية وإعادة تأصيل للفكر القومي واغتناء الحياة اليومية بعناصر الفن الأصيل. كما عملت على مجابهة التيارات القطرية والإقليمية الضيّقة، وكذلك عملت على مجابهة التيارات الفنية والأدبية والفكرية المسمومة. نحن دائماً نطمح ونأمل أن يتم تحقيق كل هذا مع تحقيق المعاصرة بمعنى مجاراة العصر وتبادل المستجدات بتوازن ودونما طغيان أو استلاب أو الذوبان في الآخر وطمس معالم هويتنا القومية العربية الغنية التي نعتز بها أيما اعتزاز. وذلك بعد القيام بعمل نوعي يتضمَّن حراكاً معرفياً ابستمولوجياً متميّزاً يخلخل الأطر والأسس المعرفية والعلمية والثقافية الناشئة في بيئتنا العربية المتمخضة عن حضارة عربية زاهية، تلك التي يريد الغرب الأوروبي – الأمريكي - الصهيوني، مستخدماً أدوات رخيصة من دول الإقليم نسفها من جذورها وتدمير مرتكزاتها المنطقية، الأمر الذي خلص بها إلى ما سيصطلح على تسميته بـ (أزمة الثقافة الوطنية والقومية) و(أزمة إدراك المفاهيم)، هذه الأزمات ستدفع العلماء والمثقفين الوطنيين والقوميين إلى استشعار وعي ابستمولوجي قلق يسائل مـدى الصدقية والمشروعية للمفاهيم والمنهجيات العلمية وأسس النقد الثقافي، الذي ربما أوصلهم إلى حد الوقوع في عدمية معرفية انمحت فيها الدلالة، فانتصبت أزمة المعنى بكل شموليتها وجذريتها.

الإبداع... معناه.. ومراحله في المنظور السايكولوجي

ريم حسين سباهي

الإبداع... هو القدرة على خلق البديع الذي قد يكون رسماً أو نغماً أو فكرة أو نظرية أو تمثالاً أو اختراعاً، والعمل المبدع لا يصدر إلاّ من شخص خلاّق مبدع، له خصائصه وتفكيره والخلفية الاجتماعية والثقافية، والظروف البيئية التي تواجهه بمشكلة في مجاله تستعصي على الحل، ويعيها جيّداً ويحيط بها فيتصدّى لها، ويكون انتصاره عليها بما يقدّمه من جديد مبتَكَر، ودراسة الابتداع إذاً تقتضي دراسة العمل المبدع (أو ناتج عملية الإبداع)، وكذلك دراسة ما يكتبه المبدعون من تواريخ لحياتهم، والظروف التي أهّلتهم للإبداع، ومطابقة ما كتبوه أو ما كتبه الغير عنهم ووقائع حياتهم، ولعلّ مثل هذه الدراسات تكون مُعيناً للنقّاد عندما يكونون بصدد الحكم على عمل ما أنّه بديع أو مُبتَكر أو خلاّق، بمعنى أنّه (أصيل) ولم يسبق إليه أحد من قَبْل، وقولنا بأنّ العمل المُبْتَكَر أو البديع هو جديد في بابه، وأصيل ليست له سابقة، يعني أننا ننسبه إلى مجال معيّن أو إطار مرجعي؛ فلا بد للحكم على عمل ما بأنّه جديد أو أصيل أن يكون حكمنا عليه من خلال هذه النسبة، فالطفل الذي يأتي بسلوك غير مسبوق قد يكون مبدعاً بالنسبة إلى زملائه الأطفال، ولكنّه ليس بالمبدع إذا قيس عمله إلى أعمال الكبار، وكذلك فإنّ ما قد يظنّه شخص ما في مجتمع جديداً وأصيلاً قد لا يكون كذلك في مجتمع آخر، ولذلك كان تمام الجدّة والأصالة أن تكون نسبة الجديد للخبرة الإنسانية بعامّة، وثمّة متطلّبات أخرى في العمل لكي يكون مبدعاً أو مُبْتَكِراً، وذلك أنّه يكون كما قدّمنا حلاً لمشكلة قائمة، والتفكير الابتكاري في بابه هو نوع من التفكير في حلّ المشكلات، ولذلك كان لا بدّ للشيء كي يكون مُبْدَعاً أن يأتي وفق المقتضيات التي تطلّبت التفكير فيه، وأن يخدم غاية ويتحقق به تقدّم في مجال معيّن، وكل عمل فنّي أو علمي عدّ إبداعاً في مجاله كانت له غاية، وتحقق به الارتقاء في هذا المجال، إلاّ أنّ الحلول التي قد تطرح للمشكلة التي عالجها العمل المبدع قد تكون جميعها حلولاً طيّبة، ومع ذلك لم نعدّها إبداعاً، وإنّما كان هذا العمل وحده الإبداع بعينه، بالنظر إلى أنّه كان الأمثل الذي يلبّي حاجات الموقف، والذي يمكن أن نرتاح إليه أكثر من غيره، ويستحدث فينا إحساساً بالجمال والكمال، و(جمال) الشيء البديع في (كماله)، ويتأتّى جماله وكماله من بساطته وتعقيده معاً، فهو البسيط الذي نرتاح إليه وإن أخفت بساطته تعقيده، وهو المعقّد شديد التعقيد الذي ينصرف تعقيده إلى الربط بين عناصره ربطاً محكماً يخلق منها وحدة بسيطة معجزة في بساطتها، وربّما كان الشرط الثالث الذي لا بدّ أن يتحقق في الشيء ليكون بديعاً هو أنّه بظهوره وتحققه يخلق ظروفاً جديدة وتتغيّر به مواصفات وجودنا البشري، ولكي تكون له هذه الخاصّة لا بدّ له أن يتجاوز نطاق خبرتنا بواقعها الحالي، ويستشرف تغييراً في مسارها بما يقدّم من مبادئ أو أفكار أو مفاهيم جديدة تتحدّى القديم، وتغيّر من نظرتنا إلى الأشياء، ولعلّ خير أنموذج نقدّمه في هذا المجال للشيء المبدع الذي يتجاوز زمنه، ويستحدث التغيير الهائل هو (النظرية الفلكية) عند (كوبرنيق)، و(نظرية التطوّر) عند(دارون)، و(نظرية التحليل النفسي) عند(فرويد)، ومن صفات العمل المبدع أنّه في أوّل الأمر يكون مجرّد رؤية أو استبصار بالحل، ثم يأتي تحقيقه على مراحل يكون فيها تقويمه وتطويره ليأتي على الصورة المُبْتَكَرَة التي هي كماله أو تمام صنعه، وبعد ذلك ندرس العمل ليكون تقديمه للناس منتجاً مُبْدَعاً، ولَربّما يكون أيسر علينا النظر إلى الأمور المبتدعة من دون ما يكتبه المبتدعون عنها، بالنظر إلى أنّ الشيء البديع هو الملموس والمحسوس، غير أنّ كتابات المبتدعين ومذكّراتهم، وما يصرّحون به عمّا ابتدعوا هي بمثابة التقارير الاستبطانية لعملية الخَلْق، وقد سهّلت على علماء النفس أن يتبيّنوا المراحل التي يتم من خلالها الابتكار أو الابتداع، وقيل أنها(مراحل خمس)، قد تُختَصر إلى عدد أقل أو قد تزيد عن ذلك أحياناً، و(أولى) هذه المراحل هي (مرحلة الإعداد أو التأهيل) للابتكار والابتداع، بأن يدرس المبتدع ويُراكِم المعلومات، ويكتسب المهارات والتقنيّات، وتكون له عناصر الخبرة التي تمكّنه من استطلاع مشكلة من المشاكل في هذا الباب أو ذاك من الخبرة أو المعرفة، وحتّى تاريخ مواجهته للمشكلة فإنّ حياة المبتكر تكون منصرفة إلى هذا التحصيل السابق، ويذهب بعض علماء النفس إلى أنّ هذا الانصراف إلى(التحصيل) يكون من بعد مواجهة المشكلة، وأنّ ماهية المشكلة هي التي تحدد نوعية الخبرات والمهارات التي عليه أن يكتسبها، والإعداد والتأهيل الكاملان كثيراً ما يكون لهما المردود الفعّال على الزمن الذي يستغرقه أن يصل المبتدع أو المبتكر إلى حل المشكلة، ولقد بدا(أينشتاين) مثلاً يفكّر في المفاهيم الأساسية للفيزياء في علاقاتها بسرعة الضوء منذ كان طالباً في السادسة عشرة، واستغرق منه ذلك سبع سنوات أخرى من الدراسة المركّزة وتجميع المعلومات، والحقائق قبل أن يدرك أنّ بإمكانه أن يحل التناقضات في النظريات المعاصرة بالتوجّه مباشرة إلى المفهوم العادي للزمن، وبعد ذلك لم تستغرق منه كتابة أطروحته الثورية عن(النسبية) إلاّ خمسة أسابيع فقط، رغم أنّه كان موظفاً في مكتب لتسجيل براءات الاختراع، يضطلع بأعباء الوظيفة الكتابية شأن الموظفين، وقد يبدو أحياناً أنّ الكثير من الأعمال المبتكرة تأتي نتيجة المصادفة وحدها، فالعالِم (فليمنج) اكتشف تأثير(البنسلين) بالمصادفة، فلقد كان يصنع نوعاً من البكتيريا التي من شأنها استحداث الصديد على شريحة زرع عليها فطر البنسلين، وتبيّن له أنّ البنسلين حلل البكتيريا، وكانت حادثة سعيدة وصفحة جديدة في عِلم الطب، ومع ذلك هل كان اكتشافه ذاك عملاً من فعل المصادفة وحدها؟ الذي لا ريب فيه أنّه لولا خبرة فليمنج وعِلْمه الغزير وتخصصه المتمكّن لَما استطاع أن يتفهّم هذه الواقعة ويعلنها اكتشافاً علْمياً، ومن قبله كان الناس يعرفون أنّ عفن الخبز وهو البنسلين يعالج الكثير من الالتهابات والتلوّث، ولكنّ أحداً لم ير في ذلك ما رآه (فليمنج)، ويبدو أنّه في مجال (الفن) يوجد الكثير من الإلهام، لدرجة أنّه قد يظن البعض أنّ الإعداد غير لازم فيه بالضرورة، إلاّ أنّ النقاد والمؤرخين ينفون ذلك بشدّة، فخلف كل الأعمال الفنية الكبيرة والمبتكرة كان هناك جهد كبير ومعاناة هائلة ومحاولات مستميتة، إلى أن يجد الفنّان المبدع طريقه ويحدد أسلوبه ويخرج على الناس بالتّحفة التي طالما حلم بها، وهناك موسيقيّون معجزة من الأطفال قد نحسب أنّهم بدؤوا فجأة، إلاّ أن ذلك من الخطأ البيّن، (فالطفل المعجزة) يتدرّب كثيراً حتّى ليمضي النهار كلّه في التدريب وصقل موهبته وإنضاج قدراته.

والمرحلة (التالية) التي يعايشها المبتكر أو المبدع هي (مرحلة الحضانة)، وفيها تكون المشكلة التي يفكّر فيها معه دائماً، وتلاحقه باستمرار، ويعيش بها شعورياً ولا شعورياً، ويحتضنها مُركِّزاً عليها انتباهه، وقد يستغرق ذلك وقتاً قصيراً نسبيّاً بحيث يتوجه انتباهه تماماً للمشكلة وحلّها من دون غيرهما، وكثيراً ما يحدث أن لا يوفق المبتكر أو المبتدع، وأن تواجهه العقبات ويصاب من كثرة التجريب والتفكير وإعمال الرأي بالإجهاد والتوتّر والاكتئاب، وقد يدخل المرحلة (الثالثة) من باب أن يحمي نفسه ممّا قد يحل به من إحباط فيتوقف بعض الوقت، وقد نحسب أنّه قد آثر السلامة وانسحب من الميدان، إلاّ أنّ تلك مرحلة نسمّيها (مرحلة ما قبل الاستبصار)، وفيها يكون توقفه وكأنّما يحشد قواه النفسية ويعد نفسه لكَرّة أخرى على المشكلة، وهو ينتزع نفسه من التفاصيل ويبتعد قليلاً ليراها في منظور كلّي، وعندئذٍ تأتي المرحلة (الرابعة) وهي (مرحلة التنوير)، وتلبس عند البعض بالإلهام، ويكون فيها الاستبصار بالحلّ وإدراكه، ويستشعر له بغثيان يصيبه وتكون به نشوة غريبة حتى لقد يصيح مثل (نيوتن) وَجَدْتُها!! ويذهب بعض علماء النفس إلى أنّ فترة ما قبل الاستبصار هي فترة تريّث وراحة، وأنّها فترة ضرورية، حيث إنّ التفكير الابتكاري أو الابتداعي قد ينهكه طول التثبت على المشكلة ومحاولات تنظيم الخبرة، ثم صياغة المشكلة وإعادة صياغتها المرّة بعد المرّة، ومن شأن التوقّف لفترة أنّه عند البدء من جديد يكون الطرح المتجدد للمشكلة ورؤيتها من زوايا جديدة، ويذهب علماء نفس آخرون إلى أنّه برغم التوقّف الظاهري إلاّ أنّ المشكلة تظلّ في التفكير الباطن حتى أنّها تكون في الأحلام، و(ديكارت) يقول بأنّه رأى في حلمين فكرة (الهندسة التحليلية)، ويذكر(فريدريك كيكول) أنّه رأى الحل في حلم تمثّل في ثعبان يستدير على نفسه وبعض ذيله فأعطاه ذلك فكرة (الشكل الحلقي) لجزيء البنزين، ويقول (هيرمان هيلبريخت) إنّ حل أهم النقوش البابلية التي اكتشفها جاءه في حلم، ويذكر(هنري بوانكاريه) تأكيداً لنظرية التفكير الباطن أنّ فكرة (حساب التفاضل والتّكامل) جاءته وهو يخطو بقدمه على عتبة أحد حافلات النقل الداخلي، وكان الموسيقار (موتسار) يقول إنّ (الأنغام) تأتيه على شكل خطوط متموّجة تظلّ تتحرّك إلى أن تأتلف حركاتها في الموسيقى التي يكتبها، ولعلّه لذلك يقول علماء نفس آخرون إنّ التفكير الابتكاري هو (تفكير حدسي)، ومن رأي البعض أنّ المبتكر قد لا يرى في لحظة التنوير حل هذه المشكلة فقط، ولكنّ حدسه أو بصيرته (تتفتّح) على مشاكل أخرى وحلول لها تتعلّق بالمشكلة الأولى وتفجّرها.

ولا شكّ أنّ المرحلة (الأخيرة) وهي (مرحلة التحقيق) من أهم المراحل التي يمرّ بها التفكير الابتداعي أو الابتكاري، فالمبتدع إذ يتوصّل إلى حل المشكلة أو يكتشف الجديد يكون عليه أن يتحقق من صدق ما توصّل إليه والتجريب عليه واختبار صدقه وتطويره وطرحه حقيقة واقعة، فالرؤية التي تجيء الفنّان لا بدّ أن يجسّدها في الألوان والأشكال، أو ينحتها في الحجر، أو يكتبها كلمات وحواراً وفصولاً وأبياتاً شعريّة أو عبارات موسيقية، والفرض الذي يتوصّل إليه العالِم يتوجّب عليه أن يختبره بالملاحظة والتجريب، وهناك معايير للحكم على الإبداع الفنيّ تختلف عن تلك التي تستخدم في مجال الإبداع العلمي، بسبب اختلاف الموضوعات، إلاّ أنّه لا بدّ في كلّ الأحوال من أن تكون هناك محاولات يتحقّق من خلالها العمل البديع الفنيّ أو العلميّ، ولَربّما يكون من الأيسر أن نرى رأينا في الإبداع العلمي بالنظر إلى أنّ مجاله لا يخضع للذوق، إلاّ أنّه حتى في الإبداع العلمي هناك اختلافات لا بدّ منها، فمثلاً كان من الميسور التحقّق من صدق نظرية النسبية من ملاحظة واحدة لحالة الكسوف الشمسي، بينما اقتضى الأمر إجراء آلاف التجارب على العقاقير النفسية المسمّاة بالمهدئات للتأكّد من صدق تأثيراتها على الجهاز العصبي.

وهذه المراحل (الخمس) السابقة قد تتحصّل في عملية الابتداع تباعاً وبالترتيب الذي أوردناه، أو قد تنضغط وتتداخل وتُختَصر، وقد تستغرق وقتاً قد يستمر سنوات كما في حال (أينشتاين ونظرية النسبية)، وقد لا تستغرق إلاّ أقلّ الزمن كما عند ارتجال الشِّعر المعجز والكثير من الموسيقى المبهرة، وعملية الابتداع عملية شديدة التعقيد فيها التذكّر والتفكير والتصوّر، وفيها الكثير من الدوافع، وتتضمّن إصدار القرارات، وهناك الكثير من الدراسات حول(شخصية) المبتدع، وتقيس الابتداع اختبارات الابتداع، ويتميّز المبتدع بأنّه إنسان ذكي، أو أنّه في الابتداع لا بدّ من قَدْر من الذكاء قد يختلف من مجال إلى مجال آخر، لكنه في كلّ الأحوال لا بدّ أن يكون (ذكاء المبتدع فوق المتوسّط)، والذكاء وحده لا يكفي، ويُروى أنّ (توماس هكسلي) عالِم الأحياء الأشهر وكان معاصراً (لدارون)، عندما سمع بنظرية التطوّر صاح متعجّباً كيف لم تعنّ خواطرها له وهو يعرف كل حقائقها التي قامت عليها، والأهم من الذكاء أن تكون للمبتدع القدرة على استخدام الذكاء بكفاءة عالية، ويبدو أنّ صفة (الانفتاح) التي نوّهنا عنها من أهم صفات المبتدع، وبقدر ما هو منفتح على ما يأتيه من العالَم الخارجي، من مؤثّرات فإنّه أيضاً منفتح على تجاربه الباطنة، ويستقبل المدركات الحسّية، ولها عنده معانٍ ومتضمنات، وانفتاحه يجعله (صريحاً) يكشف باطنه، و(مرناً) مع الناس والمواقف، ويريد أن يتواصل بالغير، ومع ذلك فهو(المستقل) بتفكيره وسلوكه، الذي لا ينتمي عن غير تعمّد، إلاّ أنّ هموم جماعته تعنيه، ويصدر في قراراته عن التزام بمشاكلهم، على الرغم من أنّه لا يلتزم بتقاليدهم، وصراحته تصادمه مع الغير، ونقده حادّ يأخذ به حتى نفسه، ويغيّر باستمرار في قراراته، ومستعد لتقبّل ما يقتنع به من غير حساسية، وأن يبني عليه ويطوّره، وثقته في نفسه تجعله دائباً على العمل ولا يُعوّل على أحد، و(فكرته عن ذاته) عالية جداً حتى ليتَصرّف وكأنّ على يديه خلاص الناس وارتقاء العالِم وحل المشاكل، ومع ذلك فهو (المتواضع) شديد التواضع وبه رقّة كالنساء، واحتماله لأعباء عمله تجعله (مجاهداً)، وذكورته ضرورية لكي تكون به هذه العدوانية التي تدفعه إلى مهاجمة المشاكل والتّصدي لها حتى يبلغ فيها إلى الحل، إلاّ أنّ سلوكه (الأنثوي) ليحجب أحياناً ذكورته، والمبتدع يتميّز (بالطلاقة) في التعبير، ويقصد إلى العبارة التي ينشدها من أيسر سبيل، وطلاقة تعبيره تكون بحسب مجاله، فإن كان (موسيقاراً) فهي بالأنغام، وإن كان (رسّاماً) فبالألوان والخطوط، وإن كان (نحّاتاً) فبالأوضاع، وإن كان (رياضيّاً) فبالأرقام والرموز، والمبتدع (الفنّان) يتميّز بحسٍّ وجدانيٍّ عالٍ، والمبتدع (العالِم) له القدرة العظيمة على التفكير، وفي كلّ الأحوال هو الذي يرى ويسمع ويفكّر ويتصوّر كما لا يفعل الناس، ولا تحدّه الحدود، ولا يُعاني من العُقَد والكوابت والقوامع، ولكنه يعاني (القلق) في أثناء الخلق والابتداع، وهو ليس القلق العصابي وإنّما(القلق الخلاّق)، وقيل هو قلق ينفرد به المبتدعون، وأنّه طوال عملية الخلق والابتداع تكون به (عصبيّة)، إلاّ أنّها ليست العُصابية، وإن كانت تجعله مغرباً في السلوك بعض الشيء، وقد يلبس كما لا يلبس الناس، وقد يتّسم ببعض الشذوذ؛ إلاّ أنّ المبتدعين عموماً أسوياء بدنيّاً ونفسيّاً وعقليّاً، وأهم ما يميّزهم أنّهم القادرون على السيطرة على (الأنا) والتّحكّم بانفعالاتهم، ودراسة حياة المبتدعين تجعلنا نجزم أنّ الابتداع ربّما يتوافق وظروف خاصّة تكون لهم في طفولتهم، وقيل إنّ المُلاحَظ أنّ الغالبية منهم كانوا (أيتاماً)، وكانت لهم طفولة بائسة، وأشرفت أُمّهاتهم على تربيتهم، وعاشوا معهنّ في التصاق شديد ألهب فيهم الحسّ الأنثوي، وأوقدَ جذوة الذكاء والخيال والطموح، وجعل لهم حياة باطنة ثرّة لولاها لَما كانت توجّهاتهم الابتداعية المستقبلية، وحتّى مَنْ

تربّى منهم في أحضان الوالدين، ولم يعان المعاناة السابقة، فإنّ حياته اتّسمت بالاستقلالية وتشجيع والديه له على أن يكون له تفكيره وسلوكه المستقلاّن، وأن تكون له الحرية التي تيسّر له الاستكشاف وإصدار القرارات، وكانت في محيطه العائلي أو بيئته الاجتماعية أنموذجات جيدة يقتدي بها ويتمثّل قيمها ويكوّن على منوالها أناه المثالي، وكانت (المعايير) التي يأخذ بها من الوضوح بحيث يسهل عليه أن يتمثّل معاني موضوعات الخير والشّر والحق والباطل والصواب والخطأ والجميل والقبيح، ويميّز حياة المبتدعين جو(التدريب على التفكير الابتداعي) الذي كان لهم في حياتهم وعبر مراحلها المختلفة، واختلاف ما نشأوا عليه من الطرق التربوية التقليدية، وينفي المؤرّخون الدارسون لحياة المبتدعين أو تكون لهم بيئات متزمّتة، أو أن يكون قد أخذهم أحد بالنظام الصّارم، أو أن تكون طريقة التّعلّم عندهم هي طريقة الحفظ من دون فهم، ويروون أنّهم منذ الطفولة كانت لهم أسئلة تُحتَرم من قبل ذويهم ومدرّسيهم، وأنّ خيالاتهم ما كانت تُسخّف، وأنّ أفكارهم كانت تُقابل بالاحترام، وأنّ استجاباتهم ما كانت تواجَه بالتهديد بالتقويم الخارجي، غير أنّه بالنظر إلى أنّ المبتدع يميل بطبعه إلى المُعقّد عن البسيط والتسامح مع الغامض، ونقصان التّصلّب الوجداني والمعرفي، والانفتاح الذهني، وروح الدّعابة، والميل إلى القَدَرية، وسعة الخيال، فإنّه قد يُصدّق كل ما يقال له ويسايره لتجربته، ويُروَى الكثير عن (سذاجة) مبتدعين من أمثال (كوبرنيق، ورمبرانت، ومايكل آنجلو، وبيتهوفن، وجوته، وفرويد، وداروِن، وأينشتاين)، وقيل مثلاً إنّ (فرويد) وهو عالِم النفس الذي له عمق النظرة قد صدّق لفترة الفلسفة الحروفية التي للأعداد والحروف، وأخذ بها وسايرها بعض الوقت، وأنّ (أينشتاين) قد أخذ بالفكرة الصوفية، وكان أوقيانوسي النظرة كما يقولون أي شمولياً كونيّاً، وأنّ (داروِن) كانت له بساطة أهل الريف، حتى كانوا يلقبونه بالقرويّ.

والمبتدع بالإضافة إلى الذكاء الذي نوّهنا عنه ينبغي أن تكون له (قدرات خاصّة) في مجال تخصصه الذي يكون فيه إبداعه، ولا يتأثّر الإبداع (بالسّن) كثيراً، وقد ثبت من الدراسات المختلفة أنّ المبتدع يظلّ ابتداعه وابتكاره طوال العمر، إلاّ أنّ هناك فترات يبدو فيها كما لو كان معين الابتداع قد نضب، أو أنّ هذا المعين قد أخذ يدرّ بغزارة وثراء، ويختلف ذلك أيضاً بحسب مجال الابتداع؛ ففي (الرياضيّات والشِّعر) مثلاً ثبت أنّ أفضل القصائد وأعظم النظريات كان وضعها في العشرينات، بينما كان تأليف أفضل (الروايات والقصص) عند الروائيين والقصّاصين في(الثلاثينيات) وحتى في الشيخوخة، وفي العلوم الطبيعية لوحظ أنّ أخْصَب الفترات هي الفترة بين (السادسة والعشرين، والثانية والثلاثين)، وبرغم ذلك كانت هناك أعمال مبتكرة عظيمة وكثيرة في كل الأعمار حتى سن (الثمانين) وما بعدها، وقد يحدث أنّ المبتدع يُشغَل بالحياة والوظيفة وتكوين الأسرة وإعالتها وتأمينها حتى ليؤجّل ابتداعه إلى سنٍّ يستطيع فيها أن يواصل بحوثه وقراءاته، وقيل إنّ (فرويد) تأجّل اكتشافه للعُصاب وسبقه إليه (برويز) بسبب انشغاله بميعاد غرامي مع زوجته المستقبلة، وعندما تستقر أمور المبتدع فقد يعود إلى قراءاته التي يحبّها وبحوثه التي تركها، وقد نسمع آنذاك عن أعمال بديعة يأتيها في سنٍّ مُتأخِّرة، ويعوّق الابتداع أن يكون هناك قصور في ثقافة المبتدع، أو أن تَعوقَه ظروفه والبيئة الاجتماعية غير المشجّعة أو المعلومات المغلوطة، أو تكون له اتّجاهات ثابتة وآراء جامدة، أو تكون دوافعه غير كافية أو دوافع مادّية مَحْضَة أو ذاتية خالصة، أو كانت به مخاوف من أن يساء فهمه، أو ينبذه قومه، أو يصدم الناس من حوله، وقد تكون له طرق في التفكير والبحث تجعله دائم الشّك ويُغالي في التحليل، حتى ليذهب فيه بعيداً عن دائرة المشكلة ويدخله في متاهات فكرية وتجريبية، ويصرفه إلى المزيد من القراءة والتحصيل حتى ليشغل بذلك دون ما يعالج من مشاكل وما يتّصل بها مباشرة.

وقد يبدو أنّه في الابتداع والابتكار يختلف (الذكور) عن (الإناث)، ويكاد يكون الابتداع (تاريخيّاً) وقفاً على الذكور دون الإناث، وهناك مجالات تقتصر بالكلّية على الذكور دون الإناث، إلاّ أنّه مع الظروف المتغيّرة حالياً والتنشئة الاجتماعية المختلفة بدأت الإناث يتعرّضن لنفس التربية التي يتعرّض لها الذكور، ومن ثمّ صارت النساء يشاركن في مختلف الأنشطة الاجتماعية والعلمية والأدبية والفنية والوظيفية، وبدأت تظهر لهن إبداعات ملحوظة، وإن كان أكبر إبداع يمكن أن يكون للمرأة هو إنجابها للأطفال وتنشئتها لهم بحكم تكوينها البيولوجي، وحتى من كانت لهنّ أنشطة فكرية من النساء فإنّ (الإنجاب) كان متساوقاً مع الإنتاج الفكري، وهو مثلاً ما علمناه من حياة الروائية (جورج صاند)، والعالِمة (مدام كوري)، وربّما تكون المرأة أكثر عصبية من الرجل، وربّما تعاني من قلق أساسي وتفتقد الاستقرار الانفعالي اللازم لعملية الخَلْق والابتداع، إلاّ أنّ البعض قد يكون بهنّ (المطلب الذكوري) بتعبير (أدلر)، وربّما ينشدن لذلك بتأثير (عُقدة الذكورة) الدخول في منافسات مع الرجال، وأن تكون لهنّ اتّجاهاتهم وميولهم، ومن ثم يدخلن ميدان الابتداع والخَلق والابتكار، ومع ذلك فقد قيل أيضاً من ناحية أخرى أنّ المبتدع رغم ذكورته به بعض الأنوثة، وكذلك فإنّ البعض من المبتدعين يعاني من اضطرابات نفسية واضطرابات في الشخصية، إلاّ أنّه في الابتداع عموماً تلزم للذكور والإناث بعض المعاناة النفسية التي لا شكّ فيها، ويختلف المبتدع من جهة العصبية عن غيره، ويزيد به القلق، غير أنّه يسيطر على قلقه وعلى عصبيّته، وكانت الاختبارات النفسية في صف القليل من الاعتلال النفسي مع الكثير من الذكاء وثراء الشخصية، والصراحة في التعبير والميل إلى النقد الذاتي، وأخذ النفْس بالشدة والاعتراف بأوجه القصور، وأثبتت أيضاً أنثوية المبتدعين أو اهتماماتهم وطرائقهم الأنثوية في التعبير من جهة العواطف والمشاعر، وبلغة (يونج) فإنّ ذكور المبتدعين لا يتعيّنون تماماً بأدوارهم الذكورية، وأنّ أنثويتهم تجعل لهم حساسية للخبرات الباطنة، حتى أنّهم ليحدسونها، ويضفون عليها إيحاءات تجعلهم يميلون إلى الانطواء وإن غالبوا أنفسهم أن يكونوا منبسطين، ولعلّ هذه المراوحة بين الأنوثة والذكورة بمقتضياتهما، وبين الانطواء والانبساط، هي ما يجعل سلوك المبتدع على غير المألوف حتى ليُتّهم أحياناً بالشذوذ أو الإغراب.

الأهمية المعرفية لبنية المتغيرات الجارية في العالم

حسين عجمية

لست مُنَجِماً لأدخل في نظام التوقع؛ فالحياة عندي لا تجري وفق نظام من الأحداث والوقائع المنعزلة، وإنما تأخذ مجراها في بنية العقل من خلال الترابط بين المتغيرات الجارية على البنية المعرفية والفكرية، وتأثيرها في مسيرة الحياة الإنسانية من خلال التفاعل الوثيق بين إنتاج الإنسان ووعيه، وهذا يدخل في إطار الدراسة المنهجية في بنية الطبيعة الإنسانية وعقليتها، لتظهر المعرفة كنظام متناسق مع بنية المعرفة الإنسانية، وهذا ما يجعل من الدراسة رافداً لنظام الوجود بوعي قابل للتمدد والتأثير في قابلية الوعي على التطور بما يناسب الطبيعة التصاعدية للحياة الإنسانية.

من خلال توضيح الأبعاد المرتبطة بالمتغيرات الجارية لوعي النظام والسلوك وطبيعة العقل البشري وبدء انتشار ملامح عصر قادم، يمكن أن يبهر العقل الساكن والساكت عن تأمين الضروريات والإجراءات المترافقة مع ظهور ملامح وعلاقات وأنظمة دولية قادرة على استيعاب البنية الجديدة للحضارة المرتبطة بالتوسع الهائل في أنظمة الإعلام المختلفة والتطورات التقنية والاكتشافات والأبحاث الوراثية، وتطور تخليق الكائنات الحية في الأنظمة المخبرية، وتسارع الهجوم الواعي لنشر الحريات العامة والحقوق الإنسانية والنسائية، والمشاركة الفعلية في صياغة القرارات الدولية على المستوى العالمي، وتزايد المطالبة بواقع ديمقراطي عالمي يستوعب الآراء والأفكار الجديدة، وإحراز تقدم وتقارب بين مفاهيم مختلفة سائدة ومرتبطة بإرث تاريخي ونمط سلوكي ناشئ عن تطور مرتبط بوجودها الحيوي.

فالتغيرات العصرية الجارية والحضارة القادمة وما يلازمها من معرفة وأجهزة وصياغات، تربك العقل القابع في كهف السلفية والجمود.

عقلية الجمود هذه بنظامها الأبوي تريد وقف الحياة عن إجراء أي تبدلات في بنيتها المعتادة؛ أي وقفها أو إرجاعها إلى بنية تتفق مع وضعية العقل المتسلط، عقل لا يظهر استعداداً للتكيف والاعتراف بما هو جارٍ في نظام العالم من تغيرات قادرة على نسف القواعد المهترئة لأنظمة التسلط الأبوي ونسف مفاهيمها بلغه رقمية لا تعترف بأنظمة الرقابة الصارمة، ومجبرين للتعامل معها لقدرتها القابلة للتوسع والانتشار.

فالقدرة على التكيف مع المتغيرات، تحتاج إلى تضحية ذاتية وقدرة على استقبال المعارف المتباينة والمختلفة الناشئة من معطيات ملازمة للتقدم والتطور بمختلف المجالات الإنسانية الراهنة.

فالعقل لم يفهم كيفية ظهور المتغيرات في بنيته المترافقة مع إجراء انتقالات هامه في العصور التاريخية السابقة؛ فالتبادلات التاريخية المؤدية للارتقاء والتطور البشري الواعي جرى في أزمنة وصلتنا نتائجها جاهزة، مرتبطة في مخزوننا المعرفي من دون أن نعرف ماهية ارتباطها بهذا العقل، ولا الكيفية التي تم ربطها به, نتعامل معها وكأنها مرتبطة بنشوء العقل ذاته.

لم يعرف الإنسان الراهن بالتحديد كيفية حدوث الارتقاء من إنسان تابع للطبيعة إلى إنسان يمتلك استقلالية نوعية إلى حد ما.

فالمواقف والمعارف الإجرائية تواترت في بنية العقل، ولم يدرك العقل أهميتها حتى أصبحت ضمن بنيته الأساسية مرتبطة به أشد الارتباط وتعبر عن مجرى نشاطه في محيطه الحيوي.

فالتواصل التطوري المرتب لأحداث أنظمة لغوية مرتبطة بحاجة العقل للتكيف مع الحياة، حدث وفق منظومة من التطورات المترابطة مع التغيرات الجارية في نظام الحياة، وانتقلت بشكل تدريجي من أنظمة حسية إلى أنظمة عقلية مرتبطة باللغة المعبرة عن مكونات الأشياء وماهيتها، ومدى التطور في طاقته وقدرته على التوفيق بين الأنظمة اللغوية والواقع التفاعلي مع نظام الموجودات وأنظمة التعامل معها.

متغيرات جرت، والكل يعترف بوجودها، وابتعاد الإنسان المعاصر عن مجرى طريقة حدوثها جعلها جاهزة في بنية العقل وكأنها مرتبطة بطبيعة التكوين الإنساني، وجميع النشاطات البشرية المرتبطة بوجود اللغة تغيرت كثيراً عن النشاطات الإنسانية في حالة عدم وجودها، تغيرات دائماً تجري في نظام وعينا، ونهمل المتغيرات الناتجة عنها لنصل إلى واقع جديد مدرج في بنيتنا العقلية والسلوكية، يظهر من خلال نشاطنا وكأننا حريصون على معاداة جميع المتغيرات المتعارضة مع بنية العقل التاريخي المندمج مع ذاتنا الإنسانية.

لم يرتبط وجودنا بالدين، فارتبط الدين بوجودنا؛ فلو ارتبط الوجود الإنساني بالدين، لكانت الإنسانية تدين بدين واحد، يرافق وجودها التطوري عبر التاريخ البشري؛

فالتغيرات الدينية في طبيعة الوجود البشري حدثت من تتابع الإنزال الديني على المتغيرات في السلوك والمعرفة البشرية؛ فالوعي الديني عبر قرون طويلة ومديدة من الإملاء الأخلاقي، وما رافقه من ارتباطات إيمانية تعززت في لغة التكيف مع الأنظمة الروحية وطقوسها المختلفة لربط الإنسان بطبيعته الكونية، لأنّ مجريات الوعي الديني تعمقت بشكل تدرجي وتنافسي أحياناً، نظراً لنزول بعض الأديان على الساحة البشرية المختلفة في طريقة تعاطيها الديني وكل المعتقدات عمقت بنيتها في النفس البشرية بأشكال وطرق متنوعة لتوصيل الإيمان لخالق الأديان.

ومن خلال الصدام وطبيعة الأحداث الجارية والفتوحات وجميع النشاطات المرتبطة بواقع تتحكم به طبيعة الدين المتواجد في بنية المجتمع، ومع ارتباط الدين بالسلطة، ظهرت السيادة الدينية كقوة حرة ومتحررة من التبعية البشرية، واكتسبت قوة السيطرة على الوعي، وتحكمت بمجرى بنائه اللاحق؛ ولم يفهم الإنسان طبيعة الغزو الديني لوجوده؛ لأنه رافق التبدل على الوعي ضمن الخط التطوري للبناء المعرفي مع مجرى التاريخ النفسي، في العصر الراهن تجري تبدلات هامه في وعينا من دون إدراك طبيعة هذا الوعي، بالرغم من التغيرات السريعة في بناء الحضارة الإنسانية الراهنة؛ فسرعة تواصلنا يؤسس وجوداً إنسانياً متوافقاً مع منجزات التقدم، وما يرافقه من إدخالات هامة على بنية وجودنا، وقدرة تكيفنا مع منجزاتنا ويعطينا دفعًا هامًا وقويًا لنفهم الكثير عن منجزات العلوم المختلفة، نتقبلها بطيبة خاطر، وتدخل حياتنا وتؤثر فينا من غير إدراك مدى تأثيرها الحاصل ببنائنا العقلي المنعكس سلوكاً على حياتنا، فالمعارف والعلوم تزداد تنوعًا وتداخلاً مع بنيتنا؛ ومهما كانت الإجراءات المتخذة لوقف تدفق أثرها في بناء مجتمعاتنا، يبقي إجراء محدود غير قابل للصمود أمام هجوم التكنولوجية المتطورة، وما تستدعيه سرعة التغيرات المستجدة في الأنظمة الاجتماعية والمعارف العقلية المترافقة معها.

فالسرعة الحاصلة في الاكتشافات والأبحاث في مختلف العلوم المرتبطة بالحياة الإنسانية وتوابعها، مجبرون على تقبلها كواقع عملي مفروض ومحسوس، ومهما كانت طبيعتنا الثقافية، فإننا نسعى لمعرفة المزيد ونريد استيعاب المزيد، والمصاعب المعرقلة للاستيعاب القائم ليست من طبيعة الشعوب العقلية؛ فالمصاعب غالبًا ما تكون خارج الذات الاجتماعية كالعوز الاقتصادي المؤدي لضعف اقتناء المزيد من التقنية والمعرفة التقنية المرتبطة بها والخوف الصادر عن أنظمة تعيق التغيرات الملازمة لنقل تكنولوجية المعلومات المؤدية لإحداث تغيير في المجرى الاجتماعي، فتسعى لوضع العراقيل أمام توريد التكنولوجية القادرة على إحداث ثورة في البناء الاجتماعي والثقافي وتناقلها؛ فالتأثيرات التدرجية الجارية في بنية العقل الإنساني الراهن، ستغير مجرى البناء المعرفي والسلوكي من دون إحساسنا الراهن بأهمية هذا البناء، على الرغم من التخلف والتعصب الموروث من تراكم الأحداث التاريخية الماضية، وسيظل العقل المنفتح على الوجود يحرز انتصارات متلاحقة ومهمة في إرساء قواعد المعرفة والسلوك، وبناء طبيعة معرفية تتفق مع إنجازات الإنسانية بالذات.

العالم الموسوعي الشيخ طاهر الجزائري

عبد الحميد الدرويش

اسمه:

هو طاهر بن محمد صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني، المشهور بالجزائري.

مولده ونشأته:

ولد في دمشق سنة 1852م.

هاجر والـده من الجزائر إلـى دمشق سنة 1263هـ ـ 1847م، وكان من بيت علم وشرف.

تعلم في مدارس دمشق، حيث دخل المدرسة الجقمقية الإعدادية.

صفته:

وصفه تلميذه محمد سعيد الباني بقوله:

كان حسن الطلعة، معتدل القامة والجسم، حنطي اللـون، واسـع الجبين، أسـود الشعر والعينين، وذا لحيةٍ كثيفة، عصبي المزاج، سريع الحركة، واسع الخطو.

أساتذته:

تتلمذ على:

ـ الأستاذ عبد الرحمن البستاني، فأخذ عنه العربية والفارسية والتركية ومبادئ العلوم.

ـ كما قرأ على أبيه أيضاً.

ـ ثم اتصل بعالم عصره الشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني، ولازمه إلى أن وافاه الأجل، وكـان شيخه الميداني فقيهاً عـارفاً بزمانه، واسع النظر، معروفاً بوقوفه على لُباب الشّريعة وأسرارها، والبعد عن حب الظهور والتفصح في المجالس، على قدم السلف الصالح بتقواه وزهده، وعلى نهجه سار تلميذه

شب محباً للعلم على اختلاف فروعه خاصة علم الطبيعة، أخذ يفتش عن مصادره المطبوعة والمخطوطة ويقتنيها، ويتلقف بشوقٍ ما يسمعه من أحاديث العلماء الذين تلقوا العلم في المدارس العالية أو الأجنبية، فإذا به يدّخر حصيلةً كبيرةً قيمة من العلوم الطبيعية والفلكية والرياضية والتاريخية والأثرية إلى جانب ما وعاه من علوم العربية والفقه.

العلوم التي برع فيها:

أتقن الجزائري اللغة العربية، وأتقن الفارسية، والتركية، ونظم بالفارسية كما نظم بالعربية، وتعلم الفرنسية وتكلم بها، وكذلك تعلّم: السّريانية، والعبرانية، والحبشية، وكان يعرف: القبائلية البربرية لغةَ موطنه.

وإلى جانب ذلك اهتم بعلم الخط، وتعلّم كثيراً من الخطوط القديمة: كالكوفي، والمشجر، والعبراني غيرها ليتسنى له دراسة الآثار.

اهتماماته:

غُرِم الجزائري بالكتب المطبوعة والمخطوطة، وعَـرف الجيد من أصنافها، كما عـرف طبقات المؤلفين وتراجم الرجال، وأماكن المخطوطات والنسخ المتفرقة منها في الخزائن الشّرقية والغربية، وساعده على إتقان ذلك: قوة حافظته.

المناصب التي تولاها:

ـ تولى التدريس في المدرسة الظاهرية بدمشق، والتقى بالوالي مدحت باشا الذي وجد عنده البغية التي يريدها من أجل إصلاح ولاية سورية، ورآه ثقةً. فهو يبحث عن أمثاله ليستعين بهم في نشر العلم، وإصلاح التعليم، وخطط مع الشيخ طاهر لنهضة علمية واسعة، واتفقا: على أن خير نهج يؤدي إلى النهضة يقوم على محو الأمية، وكون هذا بنشر التعليم الابتدائي من قبل هيئاتٍ أهليةٍ، لا تعتمد على الأساليب الحكومية، تجمع المال من الموسرين، وتنفقها في الأغراض المقررة، فتثمر جهودها في أقصر وقت مادامت مؤيدة بعطف الوالي ونفوذه.

ـ كان عضواً في جمعية علمية اجتماعية، أسسها بعض العلماء والوجهاء في دمشق، أطلقوا عليها اسم: (الجمعية الخيرية)، وقد اعتُمد على هـذه الجمعية في تنفيذ خطة النهضة العلمية، فدأب أعضاؤها على توعية الناس، وبث حب العلم والترغيب فيه بين الشباب، كما قامت الجمعية بترميم المدارس الموقوفة على طلب العلم وتجهيزها، وكذلك ملحقات بعض الجوامع والتكايا، فتم في بضعة أشهرٍ افتتاح نحو تسع مدارس في مدينة دمشق، اثنتان منها للإناث.

ـ تم تعيينه مفتشاً للمعارف في ولاية سورية، فبذل جهوداً إضافية جبارة في سبيل إصلاح أساليب التعليم، وكان يتعهد المعلمين بالنصح والإرشـاد والتوجيه، ويسمع بشغف آراءهم في ابتكار أنجح الوسائل لتعليم الطلاب والدعوة إلى طلب العلم.

ـ تولى قضاء المالكية، حيث كان فقيهها في دمشق، ومفتيها في الشام.

ـ عين مـديـراً عـامـاً لـدار الكتب الوطنية الظاهرية.

ـ تم انتخابه عضواً في المجمع العلمي العربي.

إنجازاته:

ـ أسس دوراً عامة للكتب في مختلف البلاد، فكان منها دار الكتب الوطنية الظاهرية، إذ جمع فيها البقية الباقية من الكتب والمخطوطات الموقوفة فـي مختلف الـجـوامـع والـمـدارس، فهددته أكلة أوقاف المدارس بالقتل إن لم يكف عن جمع الكتب في مكانٍ واحـدٍ؛ لأنه استولى بسيف الحكومة على جميع ما أبقته أيدي النهب من الكتب المخطوطة.

ـ أسـس في القدس مكتبة وطنية باسم: المكتبة الخالدية، بمساعدةٍ من آل الخالدي، وقد ضمت كتب الشيخ راغب الخالدي وكتب أسرته، وجمع فيها مخطوطات وكتباً أخرى قيمة.

مؤلفاته:

كـان يسهر الليالي الطويلة عاكفاً على تأليف الكتب فـي مختلف العلوم الدينية والعربية والرياضية، مبسطاً أساليبها، مختاراً ما تدل التجارب على نجاحه وسهولة تلقينه، وكان يشرف بنفسه على طبع كتبه في مطبعة الجمعية الخيرية.

ومن مؤلفاته:

ـ الجواهر الكلامية في العقائد الإسلامية.

ـ بديع التلخيص.

ـ التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن.

ـ توجيه النظر إلى أصول الأثر.

جمع فيه زبدة ما جاء في كتب أصول الفقه ومصطلح الحديث من القواعد والفوائد بشكل يدل على سعة إطلاع وفهم عميق لأسرار الشريعة.

ـ المنتقي من الذخيرة لابن بسام.

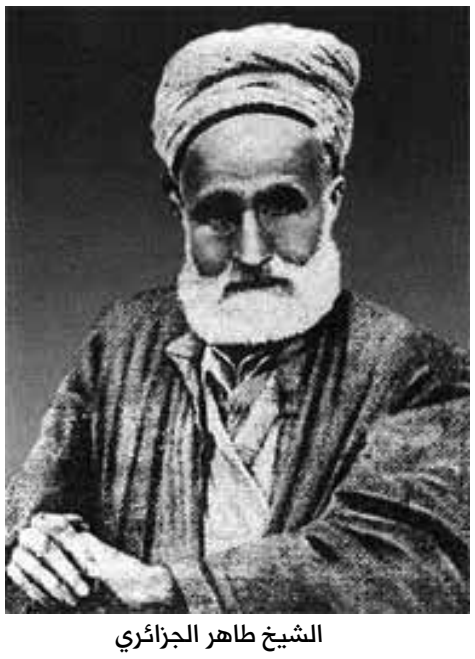

الشيخ طاهر الجزائري

ـ تفسير القرآن الحكيم (مخطوط).

ـ الفوائد الجسام في معرفة خواص الأجسام.

ـ كتاب في الحساب والمساحة.

رحلاته:

كان سافر بين حينٍ وآخر إلى مختلف البلاد العثمانية، والبلاد الشرقية، والأوروبية، يجتمع بعلمائها ومفكريها باحثاً في كنوز المكتبات عن مخطوطات التراث العربي.

كما أنه رحل إلى مصر.

اتصاله بالعلماء والطلبة، ومقر درسه:

كثر تـردد طـلاب العلم على الشيخ طاهر الجزائري، مما زاد نشاطه الاجتماعي، ونشر الدعوة للعلم، كما تحلقت حوله طبقة من شيوخ دمشق والعلماء النابهين فيها، فكان يتحفهم بالدروس العلمية والفكرية، والسياسية، ومركزه الأساسي الذي يقيم به دروسه كان مدرسة: عبد الله باشا في دمشق.

قال الأمير الشهابي: في تلك المدة التي قضاها الشيخ طاهر الجزائري بالشام، كان يتحلّق حوله في دمشق صفوة من المتعلمين والنبهاء والمفكرين العرب، فتألفت من جمعهم أكبر حلقة أدبية وثقافية، كانت تدعو إلى تعليم العلوم العصرية، ومدارسة تاريخ العرب وتراثهم العلمي، وآداب اللغة العربية، والتمسك بمحاسن الأخلاق الدينية والأخذ بالصالح من المدنية الغربية.

رحلته في الحياة:

فقد كان يدعو المسلمين إلى تعلم دينهم، والاحتفاظ بمقدساتهم وعاداتهم الحسنة، والأخـلاق القويمة، وأن يفتحوا قلوبهم لعلوم الأوائـل والأواخـر على اختلاف ضروبها، وكان يتفنن في بث الأفـكـار الصحيحة في العامة والناشئة.

كما أنه قضى حياته يكافح الأمية، ويحارب التعصب، ويحرص على تعليم أولاد الأغنياء خـاصـة؛ لأن عندهم الـمـال والـجـاه. وبالتالي: تأثيرهم في مجتمعهم أكبر، وحث على أن يتعلم المتعلمون صناعة أخرى، وكثيراً ما يقول:

(تعلموا العلم، وتعلموا معه صناعة تعيشون بها حتى لا تقفوا على أرباب السلطان، تستجدون الوظائف والجرايات، فإذا احتاجت الحكومات إليكم أخذتكم لخدمتها، واعملوا بالنّزاهة والاستقامة، وأخلصوا لها وللأمة القصد).

كما كانت له آراء شتّى هدفها نهضة الأمة، والأخـذ بالعلم والأخـلاق، وإحياء التراث، وعدم التزلف للحكّام، ومهاجمة العلماء الجامدين الذين يغلقون باب الاجتهاد، وكان يحذر من الوقوع في حبائل الاستعمار.

فقد كان يلقن مبادئه، ويلقح العقول بأفكاره من حيث لا يشعر المتعلّم، وكثيراً ما كان يغشى مجالس بعض العلماء الذين يتوسم فيهم صفاء السريرة، فيَظهر بمظهر المستفيد، وغايته: إفادتهم خلال الدرس.

كما كان نهجه في التعليم: التيسير على المتعلم، وإعطاءه لباب العلم دون التعمق بما لا يفيد، والأخذ بالتدريج من البسائط إلى المركبات، وكان يحب اختصار المطولات من كتب الفنون، ليسهلها على المبتدئين، ولئن كان في العلم مجتهداً فقد كان في تأليفه مقلداً يمشي على آثار القدماء، ولا يحب التوسع والتعليق على آراء المؤلفين المجددين.

وتجده دائماً من الذين يشجعون على إنشاء الصّحف السياسية والاجتماعية، والمجلات العلمية والأدبية، وكان يدعو إلى تناول الصحف النافعة، ويبتهج بها، وله شَغفٌ كبير بالاطلاع عليها وتتبعها، خصوصاً التي تكثر من الترجمة عند الغرب، واقتطاف ثمرات علومه.

وكانت بينه وبين المستشرقين صداقات، يراسلهم ويراسلونه على اختلاف قومياتهم، وزاره كثير منهم في رحلاتهم إلى الشرق، يقتبس منهم ما ينفع، ويُقبسهم ما يثبت سماحة الإسـلام ومدنيته ومجد المسلمين وتمدنهم، وهذا ما جعله في عداد حلقات السلسلة التي تصل الشرق بالغرب، كما شهد له الكثيرون.

شهادته لبعض طلابه:

قال فيه تلميذه الشيخ سعيد الباني:

جمع بين المعقول والمنقول، ومزج القديم بالحديث، أخذ من كل علمٍ لُبابه، ونبذ لفاظته، فكنت تجد منه العالم الديني والمدني والرياضي والطبيعي والسياسي والأديب والمؤرخ والأثري والاجتماعي والأخلاقي والكاتب والشاعر، فكان عنده من كل علم خبر، فهو دائـرة المعارف، ومفتاح العلوم، وكشاف مصطلحات الفنون، وقاموس الأعلام.

وفاته:

بعد عودته من مصر بأربعة أشهر، اشتد به مرض الربو، فتوفي يوم الإثنين الموافق 5 كانون الثاني سنة 1920م، ودفـن في سفح قاسيون تنفيذاً لوصيته.

المصادر:

ـ تاريخ علماء دمشق. الدكتور شكري فيصل، دار الفكر ـ دمشق.

ـ المعاصرون. محمد كرد علي، دار صادر ـ بيروت 1991.

ـ الأعلام. خير الدين الزركلي، دار العلم لملايين ـ بيروت.

الشاعر الايراني سُهراب سِپِهْري في كتاب (المسافر)

عماد الدين ابراهيم

يرى بعض الكتاب والنقاد في ترجمة النص الشعري خيانة لـه، لأنها غير قـادرة على نقل جمالياته وصوره وموسيقاه إلى اللغة المتَرجَم اليها، رغم أن هناك بعض الترجمات لنصوص شعرية لا تقل إبداعاً وجمالية وكأنها نصوص مؤلفة مباشرة باللغة العربية بوصفنا نتحدث عن الترجمة إلى اللغة العربية.

نتناول في هـذه المقالة نصوصاً شعرية للشاعر الإيراني سُهراب سِپِهري ترجمها إلى العربية المترجم غسان حمدان، وصـدرت عن الهيئة العامة للكتاب ضمن سلسلة (أبعاد شرقية 3) عام 2007 تحت عنوان (المسافر).

يعدّ سهراب سبهري واحداً من كبار الشعراء الإيرانيين المعاصرين؛ فهو رسام وشاعر، لوحاته تقطر شعراً، وقصائده ترسم حـالات شعرية، وللتجربتين مصدر واحد هو علاقته الصوفية مع الطبيعة ومتابعته لكل خفقة حياة عند البشر أو الأشياء، وحنينه إلى الجذور. وهو وحيد في حياته كما في أسلوبه الشعري. إنه دائما خارج التيـارات، والأفكار السائدة، لهذا السبب توجه برؤيته إلى اللحظات المليئة بحضور الأشياء والاحـداث في نصه الشعري.

يكتب سهراب سبهري القصيدة – اللوحة التي يصف فيها حياته ويصف أمه واباه وبيته وقريته والسهول والجبال، فالقصيدة لديه لوحة فنية مكتنزة بألوان الطبيعة، ويكتب أيضا القصيدة – الحكاية التي يظهر لنا فيها وكأنه يقص لنا حكاية يقول في قصيدة (وقع خطوات الماء):

من أهل كاشان أنا
أحوالي ليس سيِّئةً
عندي كسرةُ خبزٍ، بعضُ ذكاءٍ، ومقدارُ رأسِ إبرة ذوق
لي أمٌّ أفضلُ من ورَقةِ شجرةٍ
وأصدقاءُ أفضلُ من الماء الجاري.

ويظهر جلياً النفس السردي – الحكائي في هذا النص، كما تظهر في قصائده ميزة أخرى، وهي تشبيه المحسوس بالمجرد، ربما هذا الأمر يكون مستغرباً، فقد اعتدنا على تشبيه البعيد بالقريب والمجرد بالملموس لتسهيل الفهم على القارئ، لكن الشاعر يفعل العكس. يقول في قصيدة (وقع خطوات الماء):

بستاننا كان في جانب ظلِّ المعرفة
بستاننا مكان انعقاد الإحساس والنبات
أشرب ماءً عديمَ الفلسفة
وأقطف توتاً فاقدَ المعرفة
ما أن تتفطر رمانة تصير اليد نافورةَ رجاء – ص 12

ونلحظ ان هذا الأمر يتكرر كثيراً في قصيدته يتابع:

ذهبتُ إلى ضيافة الدنيا
إلى سهل الحزن
إلى بستان العرفان
ذهبتُ إلى إيوان المعرفة المضاء
صعدتُ سُلَّمَ الدين
إلى زقاقِ الريبِ – ص 13

يحاول الشاعر سُهْرَاب سِپِهري ابتكارَ صور جديدةٍ ويُوَفَّقُ إلى ذلك حيناً، ولا يسعفه التوفيق أحياناً، وتجيء الصورة منفرةً حادةً وغيرَ مقبولةٍ، مثلاً يقول:

إنني أسمع صوتَ هبوبِ الأنثى
وصوتَ حذاء الإيمان في زقاق البهجة – ص 19
كانت المدينة ظاهرةً
الإنباتُ الهندسيُّ الاسمنتيُّ الحديديُّ الحجريُّ
سقوفُ مئات الحافلات عديمةِ الحمائم – ص 16

كما نلحظ في قصائد الشاعر وجود الحوار بين الشاعر وشخصٍ آخر (شخص خيالي او وهمي)، كما في قصيدة (المسافر) فالقصيدة – القصة تحتوي على التأمل والتفكير والتساؤل والحوار مع الاخر، كما يستنطق التاريخ والآثـار ويحاول الحديث معها والتجوُّلَ فيها رؤَيَوِيّاً – شعرياً. يقول:

مرةً أخرى تحت سماءِ المزامير
في ذلك السفر عندما استيقظت
جنبَ ضفة نهر بابل
كان صوت (البربُط – ألة موسيقية) منطفئاً
وحينما أصختُ السمع جيداً، كان يتوافدُ صوتُ بكاءص 45

الشاعر سُهراب سِپِهري يستقرئ العالم بكل حواسه، يستكشفه لوناً ومنظراً ورائحةً وملمساً، بالبصر والسمع والشم واللمس، إنه لا يستغني عن أي حاسة، وهو يتقرَّى فضاءه الشعري وعوالمه، إضافة إلى ذلك هناك البعد الذهني – الفكري الذي يرخي بظلاله على الصور الشعرية الجديدة والمبتكرة في قصائده. يقول:

من مكالمة الشمس قادمٌ أنا
فأين هو الظلُّ ؟
ما زالت القدمُ دائخةً إثرَ تشعُّبِ الربيع
ورائحة القطف تفوح من يد الريح
وحاسةُ اللمس مغمىً عليها
خلف غبار مزاج النارنج
في هذا التجاذب الملوَّنِ من يدري
في أي نقطة في الموسم تفوح صخرة عزلتي؟
ما زالت الغابة لا تعرف أبعادها غير المحدودة – ص 50

من يقرأ قصائد الشاعر الايـراني سهراب سبهري، يشعر بثقافة الشاعر واطلاعه الواسع على ثقافات الأمـم والشعوب، وأيضاً اطلاعه على التاريخ والأساطير والاديان، وتنعكس هذه الثقافة على نصه الشعري، وتتسلل إلى قصائده بكلمةٍ من هنا ومفردةٍ من هناك. يقول:

يا نشيدَ صباحِ الفيداوات (كتاب الفيدا المقدس عند الهندوس)
ضع على كتفي كلَّ ثقل الطراوة
فإنني مصابٌ بحمَّى التكلُّمِ
وياكلَّ أشجار زيتون فلسطين
حدِّثيني عن وفرة ظلالكِ
أنا المسافر الوحيد الآتي من سياحة أطراف (طور)
المحموم بحرارة التكليم - ص 51

يأخذ الشاعر سهراب سبهري في بعض قصائده دورَ الرؤَيَوي والمتنبِّىء، ويقدم حدسه للمستقبل ولأمنياته بإعادة صياغة العالم من جديد كما يرغب ويشتهي، هذه الامنيات التي يريد لها أن ترى النور في المستقبل؛ لذلك يكثر من استخدام فعل الأمر للذات الجماعية؛ ليحثَّها على الحياة الجديدة المُشتهاة، وإلى التَّعرُّفِ إلى موجودات الطبيعة. مثل: لنعملْ، لِنَخرُجْ، لِنخلع، لنأكُل، لِنزرَعْ...الخ. يقول:

لِنَخلع الملابسَ
الماءُ على بُعْدِ خطوةٍ
لِنتذوَّق الضياء
لِنَزِنْ ليلةَ قريةٍ، حُلُمَ غزالةٍ
لِنُدرِك حرارةَ عُشٍّ لَقلق. ص 25

أما ظهوره بدور الرؤَيَوي- المتنبئ فيظهر في قوله:

النار مضيئةٌ في الليل
ووراء دخانها
تخطيط للخرائب البعيدة
مع أنني أعرف أن للعين ارتباطاً مع سحر الليل
لكني أرى من الكوَّات حلماً جميلاً
ناراً مشتعلةً في الليل. ص 64

تتكرر مفردتا الحلم والريح في الكثير من قصائد الشاعر، ويعكس ذلك رغبة الشاعر في الرحيل في عوالم التخييل والأحلام؛ لأنها الأكثر قرباً إلى روحه ونفسه - عُرِف عنه كثرة السفر والترحال – وهو من خلال ذلك يعيد تشكيل العالم كما يعيد تشكيل اللغة، إنه يكتب قصائده بلغة الحلم المكثفة – المُلْتَبِسَة والغامضة، حتى لتبدو للقارئ كأنها هلوسات اليقظة أو تداعيات حلمٍ أو كابوسٍ، ويتجلى ذلك في النقلات الفجائية في أفكار القصيدة وأجوائها، وأيضاً في الصور المبتكرة الجديدة؛ حيث يبتلع صوتُ البستانَ، ويشاهِدُ العطرُ نفسَه في المرآة، ويهبُّ اللونُ فجأةً لِتَعْقُبَه الريح كما في قصيدة (بستان في الصوت) يقول فيها:

وهبَّت الريحُ
انفتحت كوَّةٌ على تحديقي
جاء نورٌ صارخٌ إلى البستان
كان البستانُ يذبلُ
وأُطلَقُ أنا إلى داخل الكوَّةِ. ص 74

اذا كان الشاعر الايراني «نيما يوشيج» رائداً للشعر الجديد في ايـران، و«أحمد شاملو» أحد كبار مطوريه» والجدير بالذكر هنا أن الاستاذ غسان حمدان قـام بترجمة مختارات شعرية للشاعر احمد شاملو بعنوان (ما أزال مشغولاً بذلك الغراب) وصدرت عن الهيئة العامة للكتاب عام 2008 «فإن سهراب رغم استفادته الواضحة من تجربة سابقيه، إلا أنه ومنذ نشر قصيدته «وقع خطوات الماء» أخذ ينتمي إلى ما اصطلح النقد الأدبي الايراني على تسميته بـ «الموجة الجديدة». وشعراء «الموجة الجديدة» جمعوا بين تجربتين: التجربة المحلية التجديدية وتجربة الشعر العالمي الطليعية، واستطاع سهراب في قصائده أن يستفيد من تقنية القصيدة العالمية وانفتاحها على الاحتمالات كافة بما في ذلك التجريب، وأن يضعها في اطار التجربة المحلية. أن يربط ما بين الفضاء التشكيلي كرسام، وانسيابية ورقة الشعر، كما جمع ما بين روحانية الشرق وصوفيته وأحلامه، وما بين معمارية القصيدة الحديثة في تجربتها الغربية.

سهراب سبهري قلم وريشة يأخذاننا إلى لحظة التقاء اللون والحرف والصورة، لم يسجن

سُهراب سِپِهْري

قصائده في التقاط الحدث اليومي والعادي فقط، ولم يقيدها بالآني، بل جعلها يداً تمتد إلى اللامكان واللازمان، انها بصيرة نافذة في عمق الحركة الخفية للكائنات والأشياء، يرى الكاتب والشاعر الايراني (منوشهر آتشي) أنَّ سهراب، بصوته وأسلوبه، امتاز بأجواء خارجة عن رتابة الواقعية الجافة؛ فهو بسيط في التصوير، يخلق حوله فضاءاتٍ روحانيةً وشرقيةً.

رحل الشاعر الايراني سهراب سبهري في 21 نيسان عام 1980 إثر اصابته بسرطان الدم تاركاً لمحبيه قصائده الجميلة كي يتذكَّروه من خلالها، ناسياً ما قال عنه الآخرون من أنه متكبِّرٌ ومتعالٍ عن الناس وعديمِ المسؤولية، صافحاً عمَّن أساء اليه وأنكره، راجياً ممَّن يريد لقاءه:

إن جئتم في طلب
مهلاً تعالوا على رؤوس أصابعكم
كي لا تتفطَّرَ آنيةُ وحدتي الخزفيةُ الرقيقة.ص 115

في الختام لا بد لنا من أن نشكر المترجم على جهوده في تعريفنا بالأدب الايراني الحديث من خلال الترجمات التي قام بها وصدرت عن الهيئة العامة للكتاب، لكن بالمقابل لا بد لنا أن نشير إلى بعض الهنات التي وقع بها في ترجمة بعض الجمل والصياغات الشعرية في المجموعة، خاصة وان هذا الشاعر له أسلوبه الخاص في الكتابة والتعبير؛ مما يزيد من صعوبة ترجمة نصوصه – وقد بدأنا هذه المقالة بالحديث عن صعوبة ترجمة النص الشعري – وهنا تكون الصعوبة مزْدَوَجةً، لذلك نمر على بعض التعابير والجمل في بعض القصائد تكون عصية على الفهم بسبب ركاكة صياغتها وترجمتها، وقد قمت بمقارنة بين ترجمة الاستاذ غسان حمدان لقصيدة (المسافر) وترجمة الاستاذ العراقي محمد الأمين لها، فوجدت أن هناك فرقاً بين الترجمتين، وأن الأخير كان موفقاً في انتقاء المفردة الاكثر شعرية وإيحاءً وانسجاماً مع جو القصيدة، لكن رغم كل ذلك نحييه، ونقدر جهوده على اطلاعنا على الأدب الإيراني المعاصر من خلال جهوده في ترجمة نماذج من هذا الأدب في الشعر والرواية.

الإنسان في ديوان راما عبد اللطيف «إن وصديقها سان»

ثناء درويش

«راما عبد اللطيف» اسمٌ قد لا يكون معروفًا في عالم الأدب بعدُ، ربما يكتب له أن يلمع في سمائه نجمًا يضاهي في بهائه فينوس، وربما يبقى مغمورًا لحكمة إلهية تعمى عنها عيون البشر، لكنه حسب ما أرى، الأهم من ذلك كلّه، أن يكتب له الخلود في سِفْر الحياة.

وهي أهل لذلك، ذاك أنها المبصرة في دنيا العميان، فما كلُّ من ينظر يبصر، وما كلُّ من وقف على قدمين استحق اسم إنسان. ولو تركنا لفطرتها أن تقودنا أظنها ستصل بنا إلى برّ الأمان.

تقدم لنا راما إبداعها الأول: إن وصديقها سان، الذي وضع على غلافه اسم «شعر» كاصطلاح أو تعبير عن المشاعر، لأنها اختارت أن تقدم كتابها بما ينفي عنه القوالب الجامدة والتصنيف، ما بين نثر وشعر، داعية لرؤياه ومشاركتنا لها به على أنه:

«خبز نحن فيه القمح»، «سعادة نحن منها القلب»، «أفكار تسمو بنا نحن منها العقل». من دون أن تعنيها «زخرفة وطبع الكلمات؛ بل أن نطبع نحن في الكلمات كلمة أولى». إنها وحق الله فلسفة وحكمة من صغيرة لا يقاس عمرها بعدد السنين؛ بل بأبعاد ما تراه عين القلب التي استعاضت بها عن عينين شاءت الإرادة الإلهية أن تغلقهما لتنفتحا على آفاق أوسع وأرحب؛ فأي معنى للتحسينات الشعرية والصور البيانية والاستعارات والتشبيهات مهما بلغت روعتها وحرفيتها، إن عجزت عن أن تهبنا استحقاقًا اسم إنسان. لذلك نراها ترفض كلَّ:

إبداع لا يليق به قِدم الوجدان
وكهولة الأرض
طموحة الارتقاء
لطبائع الحجر
همُّه نصرة الكاف
إعلاء اللام
وتزويد الميم بالعصي
لتكتب بدل الكلمة
كلمًا [كلمة أم كلْم].

لكنها تعي بالمقابل أن المباشرة قد تُحوّل النص إلى «خطاب وعظي»، فتسعى إلى انتقاء قالب جمالي للمفاهيم عندها، بشرط ألا يؤثر عليها كمضمون وهو الأهم عندها. وقد أفلحت في ذلك، فجاءت قصائدها بخاصية جمالية تميّز راما عن سواها، حتى لكأنها تشير إليها، وإن لم ترفق باسمها، وتلك لعمري روعة الإبداع.

وإني لأترك دراسة القوالب الجمالية عند راما لأهلها، فما أظنني أصلح لذلك، إذ عميت عيني عنها، حين رحلت عميقًا فيما أرادت أن توصله إليّ، أنا القارئة الظمأى للمعاني المستترة بأثواب الحروف والكلمات، أعرّيها فأراها كما هي حقيقة، فأحسبني إياها؛ ففي عالم المعاني تنتفي الفوارق لنلتقي معًا في باحة إنسانية واحدة كانت ضائعة منا في خلاف الاختلاف.

كبذرة صغيرة ترحل راما في باطن التراب المظلم على مهل، مادّة جذورها فيه لاقتناص حضرة الماء، حكمة ورؤى وفلسفة، ثم ترسل سوقها إلى الأعلى، ليعرج نحو حضرة الهواء والضياء، فإذا بالورق الخضر يشي بسرِّ الحياة عندها، وإذا بالورد ينبي بلونه وعطره المميَّز عن عالم نوراني تغرق فيه، ووحدها تراه.

وما بين النور والظلمة، ما بين الألم والأمل، تبقى موزعة أبدًا، تدخل ظلمة باطنها فترى النور، وتخرج لعالمهم المبهرج الملَّون فترى العتمة، فتنكفئ من جديد على ذاتها، لائذة بالصمت - خير اللغات -، فوحده من علَّمها أبجدية أخرى غير أبجدية الحروف:

إن الكلام أضعف وسيلة للتعبير
أهزل لغة بين اللغات
أين منها لغة الضمير
بندمه ورضاه
لغة الحسِّ بهواه وانكساره
أين منها أبجدية أمان
يعادل امتلاك الكون
أبجدية إرادة
تعبث بالمستحيل
أين منها أبجدية اتزان
خطَّه العلوّ
عندما يتقن المرء بعضًا
من هذه اللغات
يستحق أن ينعت... إنسان. [أبجدية أخرى]

وما العيب بالكلام بل بأنياب غرزناها به حين:

حملت الكلمات أكثر من طاقتها
وضاقت على متنها المعاني
مقاصد مشوهة
وحروف تخون الحروف
ألفاظ تتبرأ من المعنى
وعبارات تهجر موطن الفكرة. [أنياب الكلام]

وهي في ذلك في حنين دائم لا تخبو ناره لتلك الأبجدية الإنسانية المغيَّبة قسرًا وكرهًا:

ليتنا تعلمنا أبجدية النفس
قبل أبجدية الحروف
منهاجها لا يستدعي سبر الأغوار. [انتقام]

ترسم راما في وحدتها صورًا للأشياء كما تشتهي، أو كما ينبغي أن تكون. تحيك في سكينتها ثوبًا أخضرَ شفافًا تخلعه على الإنسان ليكون. لأن حلم الإنسان هاجس يقلقلها، ولا يفتأ يراودها، فتنذر له نبض القلب، وصدق البيان.

إنسان جسَّده الإله في مثنوية رائعة كرجل وامرأة لتعبر عنه راما بقصيدة إن وصديقها سان وقد اختارتها كعنوان لديوانها، اللذين ما أن تلاقيا حتى كانا «إنسان»، لأنه كما قالوا وتقول: «بأيدينا نكون»، ووفق هذا القانون يقترب سان من إن راجيًا:

لا تبعدي يدك عن يدي
فمعًا نستشف روعة الصواب
لأن الصواب يأبى إلا أن يكون كالشمس
لا يحتكر.
قبل أن يمضي العمر:
فالعمر كمشوار دمعة على الخد
قصير ومنسكب. [إن وصديقها سان]

وهكذا يتعانق الجلال والجمال، لتتحول المثنوية وحدة عن طريق الحب، ولا سبيل سواه، لعمارة هذا الكوكب الجميل بحضرة الإنسان:

هاجس الكبار
بنزوعه للانطلاق
متمسكًا بكنز كرامته وقدسية ترابه
ساعيًا من شهقة الصبح
إلى مغرب العمر
لفسحة تجسّد في نيران الدنيا
فردوس الكمال. [رحلة الكبار]

فيكتب في سفر الخلود ولا يأفل نجمه، وإن أذن الإله برحيل جسده، مادام حضوره قد كان:

رحلة بين كروم الفكر
ورياض الروح
واصلاً إلى حيث تبرق
ضحكة العقل
وثقافة الابتسام
فأحيانًا يفنى الإنسان
وهو فوق أديم الأرض
ماشيًا بين الأنام
وأحيانًا يكون الغياب
أشد حضورًا
من الحضور. [غصَّة الأيام والقلم]

وعبر هذا الإنسان - هاجسها الملحاح - تنشد الحريَّة الحقَّة البعيدة عن الشعارات، عن الدم والبارود، حرية «غير مستعبدة ولا مقعدة»:

حرية تعود شاة تغلب السكين
جذرًا يتحدى الصخر
ماء يطرب الحياة
خبزًا يقيت الجميع.
حرية تتلخص بتوق واحد:
أريد الركض
حيث الضحكة لا وثاق لها
ولا ؟!! [قيود الحرية]

تدرك راما أن الإنسان جملة تناقضات وأضداد، وأنه وإن كان المبشَّر بالألوهة، والمجتبى المختار كخليفة لله في أرضه، قد نأى عن إنسانيته وتاه عن غايته التي لأجلها خلق، ولأجلها نفخ الله من روحه فيه. وهي وإن قبلت عقلاً بهذه البدهيَّة، وسلَّمت بجدلية صراع الخير والشرِّ، إلا أن قلبها في استنكار دائم لما آل إليه حال الإنسان، فإذ به يتحول إلى ثعبان:

يباغتك
صاليًا لأيامك
ناهشًا جسد اللحظة
مفجِّرًا في شعورك بركان. [قصة ثعبان]

ولا غرابة في ذلك فهذا هو الحال الذي ينتهي إليه الإنسان مادام:

الشعور
طفل مداس
في مباراة أيامنا. [لاعب خسران]

ولأنها أعجز عن رؤية الشرِّ، بكلِّ فنونه وصوره، المستترة حينًا بثوب البراءة والطهر، المقنعة بالكلمات المنمقة، وباقات الوجد، فإنها تحمد الله على كونها كفيفة.

ولو أننا تأملنا قليلاً فيما ينطق به قلبها، لذهلنا من تسليم ورضىً تحياه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى حكمة يصل إليها أهل الله حين يرون في النقمة نعمة وفي الشر خيرًا، وهو طريق طويل أرى راما قطعته بيسر، واختزلت خطوات كثيرة لتصل إلى تلك الحقيقة في دنيا الوهم.

من حظي أني لا أرى الحقد
في عيون الحاقدين
ولا ألمح الألم
في عيون المتألمين
نعمة أني لا أبصر شعلة النار
في عيون الغاضبين. [كفيف يحمد]

راما التي لم تقرأ الحقائق في السطور، بل قرأتها في الصدور، وفي القلب - كتاب العارفين - القلب الذي يقول: لا يدفع الشرُّ بالشرِّ، ولا يداوى الظلم بمثله لأنها كارما ترتد إلينا:

عجبي لمن يداوي
الظلم بطعنة
صادرة منه
عائدة بسعيرها عليه
انتقام يرمي الظالم
بجمرة
قطرة هي
من نهر جرحه النازف. [انتقام]

أجل هي أعمالنا مردودة إلينا، و لحظة نظن أنفسنا انتصرنا، يدوي صوت الكارما صارخًا بأننا سنحصد ثمن ما زرعناه بأيدينا، ألا وهو الموت، إذ لا حياة لقاتل الورود:

من السهل الاستقواء على وردة
أجراس تدقُّ... مآذن تنعي
من مات
أنت أم الوردة. [قوي]

آه أيتها الصبيَّة... الحرَّة المُحبَّة، لو أن العالم يمشي على أثر خطاك، أو يأخذ من كلماتك الدرر منهاجًا. لو أنه يصغي، لما يتفوه به قلبك الذي آثر أن يرى بعينه لا بعيون الآخرين، وتخطُّه أناملك الغضَّة، التي تتلمس دربها باستشعار واستشفاف عجيبين. لو أنه يخرج لحظة من سعار الدم والدمار، أو من نار الرغبات والشهوات، ليقف بجرأة أمام ذاته متسائلاً: وماذا بعد، إلى أين أمضي، وما حصادي؟؟!! لو يلقي السمع وهو شهيد، إلى الأصوات التي تجود بها الحياة من حين إلى حين. أصوات حكيمة قويَّة وسط ضجيج هذا العالم المنهار، تقول كلمتها وتمضي، علَّ أذن تعيها وتتلقفها بحنوٍّ وشوق ليكون فيها الولادة والخلاص. لكن العالم في شغل شاغل عن تلك الإرادة الحرَّة فيك التي ترفض أن تسلم مركبها لرياح اليأس طويلاً:

وكما أن الطفل لن يملَّ
لهفة الهدايا
ولن تمل الروح
البحث عن النغم
لن أملَّ أنا البحث
عن نفسي.

وكطائر النار المنبعث من الرماد، تنهضين من جديد كلَّ مرَّة متحدية:

أيتها اللحظات الخائبة
دوِّي
وزلزلي في داخلي
كما تشائين
وانهلي الدمع
من عينيَّ
كما تريدين
فإنك لن تزيديني
إلا عزمًا
على فعل شيء
على تمزيق المستحيل. [تمزيق المستحيل]

وكيف يكبو جوادك، ولا يقوم من جديد، ما دمت آمنت أن بين الأمس واليوم فرقاً، وبين الحلم والحلم توقاً، وما من لحظة كأختها في فهرس الوجود، بل هي الحياة في تجدُّد دائم وخلق.

فكلُّ ما في الوجود
يتبدَّل... يتجدد
حبُّنا... الأيام
الدروب
والفصول
جسدنا
والأحلام. [تجدُّد الحياة]

أو كيف تنكسين رايتك، وأنيسك أدونيس الذي:

في صقيع الوحدة
يتراءى لهبًا، يميس
بين شيئين
بين نقيضين
بين اشتعال
لحبيبين
يعلّمك... أن تجبل المستحيل
يدفعك... لتستشعر الأشياء
يحرّضك... على أن تحب
دون انفعال
على أن تنفعل دون انكسار

ولو انكسرت، فالقيامة آتية. [شعر أدونيس]

أو كيف يربكك الخطأ، مادام هو كما ترين:

معلم قدير صارم أمّي
يضيء دروب
الصواب
يرشدنا إلى رفعة
الاستقامة. [الخطأ]

قلتُ: علميني يا صغيرتي الحبيبة، كيف أقرأ كفَّ الحياة. لقد تشابكت خطوطها، وتمازجت ألوانها، وتقاطعت طرقها. جئتك أميَّة، أتهجى معناها الحقَّ عندك، وأشتمُّ عبق أنفاسك طيبًا وصلاة.

لأنك تحاولين التفرُّد في دنيا الاستنساخ، وتجرِّبين التحليق، من بين من هم كالأنعام بل أضلُّ سبيلا. قالت: أمي الوحدة وأبي الصمت، أرضعاني الحكمة ونوَّرا دربي، علماني كيف يذوب الصخر الصلب، بالإرادة والحب، والنجم يُطال، وإذا بالحياة عندي رقعة شطرنج تحيل الألم أملاً، وإذا بالنور يشرق من بين سجف العتمة:

عندما يزداد السواد،

تضعف وطأة اسوداده
يتَّسع الحلم ببقاعٍ بيضاء
تكثر الأمنيات على أبواب الخريف
وعلى ورقة الخيال
تمهر نجمة فضيَّة. [ضوء العتمة]

وكيف لمن لم يتألم أن يصل إلى معنى الحياة:

فقيمة يسوع الناصري ما كانت
لولا آلام الجلجلة
ووجود الخلق ما كان
لولا آلام الولادة. [معبد الآلام]

وكيف لمن لم يتعبد في محراب الجمال أن يـدرك الأسـرار، أو كيف لمن تجرد من الإحساس أن يأتيه الجمال، فهو حين يأتي:

لا يطرق بابًا
لا يستأذن الأنبياء
يأتيك والخطوة تزدان بالوردة
بالأسرار
ويمضي إلى شهد العطر
حيث ترقد الأنداء. [الجمال]

وقالت: هل أصغيت أماه يومًا للريح، هل رأيت الفنَّ نشوة روحيَّة، أو كان وقتك عبادة، هل شممت عبير زهرة غارديـنيا:

التي مذ حدثتني
تيقنت أن للصفاء شفة
ولساناً
يدًا تهزُّ أغوار الجمال
تطلقه صوب الفرح
برقة
لا تعرف حدود. [زهرة غارديـنيا]

هل كنت يومًا خيالاً يطير ويطيِّر الدنيا فوق أجنحة اللامعقول، أو أحلامًا تبتدع من الحصاة رفوف أساطير. هل كنت نفسًا تعلو وتخبو، تضحك وتبكي، لتبعث فينا كلَّ يوم إنسانًا جديدًا. هل كنت فكرًا أقلامه من محابر الملائكة، لتدركي كيف بعث الإنسان:

جميلاً، عجيبًا، رائعًا
قادرًا على إضرام نيران
الإبداع والمحبة والجمال
قولاً، فعلاً، وخيال. [بعثت عجيبًا]

أجل صغيرتي... أيتها القابضة على سرِّ المرأة في وهم التضاد. قد فعلتُ كلَّ ذاك حتى قادتك الصدفة المقصودة إليَّ، فوجدتك مرآتي، تعكسين الكثير مما رأيته بعين قلبي، وتجسدين ببوحك ما أتوق إليه.

فدمعتك التي نضجت كحبات الثمر، وانهمرت كالبلور فوق الوجنة، لطالما حاكتها في الصمت دمعتي تفضح غربتي. والوطن الـذي عجزتِ عن إيجاد وصف له، وجدتُه في اللازمان واللامكان. وذاك الأخضر الذي افتقدتِه في الغياض، وسألتِ التراب ودروب النهر وخطوات الرجال عنه، دخلتُ باطني لأحياه. والأثر الذي ستتركه سينهض يومًا في ذاكرة كونية حرَّة، تحيا تألق اللحظة من دون التفات. وحينها سيعلن على الملأ أننا لم نمت... أننا خالدون، لأننا كنا في الحضارة الحضور.

كنت أتمنى أن أفي ديوانك الأول حقَّه، فوجدتني عاجزة عن ذلك، لأن كل قصيدة فيه عالم بحدِّ ذاته، فعلَّ ذلك يجد لي عذرًا عندك.

سأبقى صغيرتي... في انتظار نقلة روحية جديدة لك، تتمثل في إبداع أو وحي قلبي آخر. ولك خالص الود وطيب الورد.

التّماهي مع الحياة، والقبض على المُتواري في: المجموعة الشعرية (مُعلّقاً في النّصّ) للشاعرة: شروق حمود

توفيقة خضور

إذا كان الشعر عقد قرانٍ مع الجمال، ومعاشرة المستحيل، والرقص على أهداب عينين من نور ونار، فهو إذاً زواج مبارك لا يبور، ولا يسقط توهجه بالتقادم وبلادة العقود..

هذا ما استفتحت به الشاعرة شروق حمود قصائدها حين زوّجت قلبها البكر للشام ، تلك القديسة المُترفّعة عن المحسوس، فهي السلام المتيقظ الحارس لأرواح أبنائه:

شآمُ نرجسةٌ زوّجتها قلبي..
عليها السلام
قديسة لا تمسُّ..
ومنها السلام على أرواحنا
لا ينام..

وهي بعد ذاك الزواج الميمون، ترى الوطن يتسع كلّما ضحك الحبيب، فبالفرح وحده تكبر الأوطان، وأما من وجهة قلبها: فالفوضى فنٌّ مغمور.. والهزل بؤس متنكّر.. والغناء بروفا ختامية للخوف..

فالشاعرة إذاً ترى أنّ كلّ حيّ يحمل بذور موته، وكل لونٍ يحمل نقيضه في أعماقه.. فما الظلام في فلسفتها إلا غمد الضياء.. وهذه رؤية تنمّ عن تماهٍ مع الحياة، واتحادٍ بعناصرها، مكّنَ الشاعرة من القبض على المستور المتواري خلف غلالات الغموض، والشاعرة في القصيدة الآنفة الذكر، تصدمك بتعاريفها غير المتوقعة لمفردات متداولة، فتجعلك تلتفتُ حولك مذهولاً فهي إذ تقول: نحن: ضمير الغائب.. تهزّك من الأعماق لتدرك أن ضمير المتكلم الأكبر، ليس سوى غائب عن الحضور على ساحة الواقع الفاعل، فنحن غيابٌ عن الفعل والحياة والتأثير في مجرى الأحداث، وقد لخصت الشاعرة سلبيتنا، وعجزنا وضبابية وجودنا بقولها: نحن ضمير الغائب.. أما عن الأحلام فهي ناطحات الشباب التي تُدمي رؤوسهم، وتأبى التحوّل إلى واقع معاش، وتعرّف اسمها بقولها: اسمي.. لم تسمع به.. ربما لأنه سما سهواً..

فأنّى لذاك المغرور أن يسمع به، واسمها قد ارتقى فوق قدرته على السماع والرؤية.. والشاعرة بأسلوبها المميز تفاجئنا ببراعتها في محاورة الأضـداد، وكسر المألوف، لابتكار نمط تعبيري يضج شباباً وتمرداً على المساطر.. فهي تلعب على عبارات مألوفة ومتداولة، لكنها تهدمها، وتحولها صلصالاً حيّاً، معجوناً بروحها ليخرج مولوداً جديداً كقولها:

إذا كانت بلاغتك من زجاج
لا ترمني بالجدل.
وكقولها :
لو كان الفقر رجلاً
فليُري الملك نفسه..

والشاعرة تُبيّتُ نيّة تبدو مراوغة.. لكنها في حقيقة الأمر تودّ أن تؤكد أن نبض الحب، هو وحده الذي يُبقي الحياة قائمة.. فهي تنوي أن تسحب نبضها من قلب الحبيب الجاحد، ليبقى كتلفاز انقطع عنه الإرسال..

وهي تنوي في القصيدة ذاتها أن تُصيب العالم بالصمم، لأنها عقدت العزم على تحدّي تحديد النسل، وولادة آلاف الصرخات في وجه القبح الذي يلفّ الكون.. أما نيّتها الأخيرة فهي: أن تعطي الآلام أتعاب نهاية الخدمة، لتُسرّحها ساعة تستطيع تسديد فاتورتها الباهظة..

نوايا من نوع خاص، هي فاتحة أعمال ستؤسس لمستقبل مُضاء بخلاصة الحب والعمل، ليلد آمالاً لا تعرف الخذلان.. ثم تقول لنا بكل لباقة الحياة التي تنافح عن نفسها ضد هجمات الموت: إنها ما أصبحت شاعرة إلا لأن دموعها أكبر من عيونها.. وعيونها أصغر من ضحكاتها.. ولا تقوى على تحملها.. تلك الضحكات التي هي إحدى الصرخات الساخرة في وجه العدم، أطول من قامتها المتسامقة أكثر من الانتظار، وانتظار الأجمل ينهش الذاكرة الحية..

ومن هذي المخاضات ولد الشعر، وتعالت شهقات الحنين الذي جعل من قلبها روما ثانية، يقف عشق الحياة على كتفها، وفوق أغصان بؤسها، ليدخّن سيجاراً من أضلاعها، التي ما انحنت إلا لتكون كوخاً، يُسوّر برحمته طائر الحنين العاشق للأجمل، والأنقى، ليبقى ذلك الطائر على قيد الدّهشة، يُرتّل نبضات قلبه عشقاً خالصاً لأمٍّ تُشكّلها الزنابق.. وللشام كل تلك الأغنيات، التي ليست سوى كلماتٍ تختصر الغناء.. كما تقول الشاعرة.

فالشاعرة جعلت قصيدتها طائراً ثرياً بحبه، مبدعاً بغنائه وشدوه، يقف على أكتاف الغيم باحثاً له عن مكان وارف في الزمن الصعب.. هذا الطائر يفرد جناحيه بكبرياء، محلّقاً في عوالم باتت أمداءً رحبة بتحليقه.. والشاعرة هنا في مجموعتها الشعرية الأولى: (معلقاً في النص) تجعل أرواحنا مُعلّقة على أهداب نصوصها، لا تنوي منها فكاكاً.. أما من حيث الأسلوب فلا يملك قارئ المجموعة إلا أن يؤخذ بتلك اللغة الغضّة، والصور المركّبة القائمة على التضاد، والتي تُوائم بين النّقيضين ببراعة، حتى ليُخيّل إليك أنهما باتا وليفين حميمين..! والشاعرة كما يبدو من نصوصها، ترفض تحديد النسل في الكلمات والصور.. فبعض ومضاتها تتكئ على جملٍ جاهزة كأساس لانطلاقها، لكنها تعزف عليها بريشة التجديد، لتلد توائم من جمالٍ وحياة.. كما في هذا المقطع :

الساعة الآن تشير إلى ضحكةٍ
سوف تشق هذا الجدار
لتُلبس أحلامنا قبّعات النهار.

فالمجموعة حافلة بالانزياحات، وتبادل الحواس، فهي مثلاً تبدأ أحد المقاطع بجملة متداولة، لكنها تُطلق عليها سهامها فتفتتها، وتحيلها رماداً لتعيد خلقها من جديد:

الوقت كالسيف
لن تجده مهما حاولت
لأنه تطور إلى مسدس.
وأيضاً :اللهفة تتوضأ بالماء الفاتر..
تصلّي لإلهٍ لم تعد تعرفه..

لكن المجموعة رغم تميّزها، لا تخلو من مقاطع عادية مكرورة كقولها :

عند بداية الظلم /علق الطغاة رؤوس الأنقياء على أعمدة في الساحات / وعند نهاية الليل تحولت الأعمدة إلى منارات..

هذا كلام عادي لا جديد فيه، لكنّ المقاطع العادية ـ لحسن الحظ ـ قليلة في هذه المجموعة، التي ما أن تُقبل عليها حتى تأخذك من ذاتك، وتتركك (مُعلّقاً في النّصّ).. أما عناوين القصائد والتي يبدو أن الشاعرة لا تعيرها بالاً، ولا تنشغل بها، كما الأم التي لا تُعوّل كثيراً على الأسماء التي ستُطلقها على أبنائها، لأن الأسماء بنظرها لا تُشكّل علاقة تواشج مع الروح والمضمون.. ربما هي فلسفتها، وربما لها رأيٌ آخر، المهم أني أخالفها في الكثير من خياراتها في العناوين، لأن العنوان عتبة نصّية مهمة، لا يجدر تجاهلها.. أما عنوان المجموعة (معلقاً في النّصّ) فهو عتبةٌ مهمة، وموفّقة..

وأخيراً الشاعرة شروق حمود تدخل عالم الإبداع من أبدع جنّاته.. وتُضيف جديداً لا يمكن تجاهله.

فيدور دستويفسكي بلا رتوش (١٨٢١ – ١٨٨١)

باسم عبدو

أثرت البيئة التي ولد دستويفسكي فيها ونشأ، تأثيراً كبيراً في كتاباته وإبداعاته. وكان لأعماله الروائية والقصصية ويومياته الأثر العميق على أدب القرن العشرين. ومن يقرأ رواياته ويدقق في حياة شخوصها، يلاحظ أنها دائماً في حالة يائسة.

صدر عن دار "رفوف" كتاب بعنوان (دستويفسكي بلا رتوش). تحرير بافل فوكين- ترجمة زياد الملا عام 2013. وهو كتاب سجَّل أدق التفاصيل عن حياة دستويفسكي وأسرته. والبداية أن فيدور هو الولد الثاني من سبعة أطفال. والده ميخائيل كان يعمل طبيباً جراحاً في مشفى للفقراء في أحد أحياء موسكو. ويحوي هذا الحي على مقبرة للمجرمين، ومحمية للمجانين، ودار أيتام للأطفال الذين تخلَّى عنهم أهاليهم. وكان رجلاً مدمناً، سريع الانفعال، استبدادياً في تعامله مع أبنائه. وكان أولاده يقفون بجانب أبيهم النائم ليبعدوا عنه الذباب. وأمه ماريا دستويفسكي.

كتب سيرة حياته (يوسف فرانك). وصدر لدستويفسكي ثلاث عشرة رواية منها:(الجريمة والعقاب، الإخوة كارامازوف، الأبله، الليالي البيضاء، المقامر، التمساح..). وصدر أيضاً له خمس وعشرون قصة طويلة وقصيرة، ومئات الصفحات من المقالات المنوعة والنقد الأدبي. ومن القصص:(قلب ضعيف، المثل، قصة أليمة، ذكريات شتاء عن مشاعر صيف، مذكرات كاتب..)، وكتب أيضاً (أدب الرسائل)، خصوصاً الرسائل التي تبادلها مع زوجته آنيا.

ضمّ الكتاب 287 صفحة و17 عنواناً. و(دستويفسكي أيقونة وعي الذات) هو أول العناوين. أطلق الباحث الأمريكي روبرت جاكسون على دستويفسكي اسم (الأيقونة). ووصفه بأنه الإنسان الذي أدرك أسرار الوجود. وبرز في دور المعلم الروحي والمتنبئ.

ينتمي فيدور إلى عائلة أرثوذكسية تقليدية. ويحمل الأب طباعاً قاسية. أما الأم فهي حنون ومربية تروي الحكايات. قتل الفلاحون الأرقاء والده. انضم إلى جمعية سرية مناهضة للحكومة، فسجن وحكم عليه بالإعدام. وعاد من سيبيريا إلى بطرسبورغ، وكتب (مذكرات بيت الموتى) و(المذلون والمهانون)، ثم حصل على جواز سفر ورحل إلى أوربا.

عاش دستويفسكي الحب ثلاث مرات. ومن يقرأ رواياته يلاحظ أن زوجته الأولى "ماريا إيسايفا»، كانت بطلة رواية (الجريمة والعقاب). وقد تعرَّف الكاتب إليها وهي متزوجة. وبعد وفاة زوجها تزوج منها. وعاشا سبع سنوات معاً إلى أن توفيت. أما «أبوليناريا سوسلوفا» فهي شابة بعثت له رسالة تكشف فيها عن ولعها بإبداعه، لكنها رفضت الزواج منه؛ إذ وقعت في حب شاب إسباني اسمه "سلفادور". وعبَّر دستويفسكي عن هذه القصة في رواية (الأبله).

قال: إنني أحب الإنسانية، غير أن هناك شيئاً في نفسي يدهشني: (كلما ازداد حبي للإنسانية جملة واحدة، نقص حبي للبشر أفراداً). وكتب متسائلاً: (أنا أبحث عن السعادة ولكن، أين هي؟).

التقى بالمرأة الثالثة التي أصبحت جزءاً منه... وهي شابة ذكية، جميلة، تبلغ من العمر عشرين ربيعاً. وأصبحت زوجته وأم أولاده. عاش مريضاً، فقيراً، غرق بالديون. وعندما توفى بكته روسيا. وكتب ليون تولستوي: (انفصل عني سند ما. لقد ذهلت، وفيما بعد صار جليًا.. كم كان عزيزاً عليّ، وبكيت وأبكي الآن..).

كتاب (بلا رتوش)، كتاب جامع يوميات حياة دستويفسكي وجزئياته وتفاصيله، بدءاً من التعرّف إلى مظهره الخارجي، وصولاً إلى أعماقه الداخلية النفسية في الحالتين (الغائمة والماطرة). ومعرفة اتجاهات الرياح وقوة حركتها، وما تحمله من خير وشر بالمعنى المجازي. وكذلك عن إبداعه وعلاقاته الاجتماعية.

ومن العادات (القاتلة) الظاهرة للعيان، هي أن يمسك المتحدث معه من الزر أو من ذيل الثوب، وهو ما فعله مع الامبراطورة (ماريا)، وهو يمسك رداءها بحيث أنه قلع الدانتيلا، إلاَّ أن الملكة لم تقاطعه أو تقول له أية كلمة.

ولم يتهاون في مساعدة الآخرين، وكان مستعداً للتضحية. وهو شخص مهووس شكاك، متّزن في التعامل مع الناس وصريح.. يضحك بشكل متقطّع، لكنه نادراً ما كان يضحك! يتَّصف بالحساسية والعصبية وسرعة التهيّج، والقدرة على التكلم والإصغاء. ويتألّم لأجل جميع المعذبين وسائر البشر. وأكثر ما كان يعذبه آلام الأطفال.

ويُعرف بحبّه للطبيعة والغابات خصوصاً، ولا يريد أن يجعل من روسيا بلداً جرداء.. ومن أحلامه المزهرة الإقامة في (ضيعة) تحيطها غابة خضراء. ودائماً كان يؤجل مشروع الكتابة إلى أقصى فترة. كتب في الصفحة الأولى من (مذلون ومهانون): (إن لمن السار أكثر بالنسبة إلي أن أبدع مؤلفاتي، وأحلم كيف تتم كتابتها من أن أكتبها).

يبدأ الكتابة ليلاً، وحتى الساعة السادسة صباحاً. تساعده أمّه في إعادة كتابة الفصل، ثم ترسل المخطوط إلى المطبعة. ولم يكن فيدور راضياً عن أي عمل من أعماله... كتب المقالات لأجل (يوميات كاتب) بمزاج كبير، واحتاج إلى مزيد من الجهود لإنجازها. وهذا هو السبب الرئيس لصعوبة الكتابة. وثانياً عليه أن يصوغ مؤلفاته بأدق صورة. وثالثاً تحديد توقيت كتابة مثل هذه المقالات في الزمن المحدد.

ومن صفاته أنه يعتني بدقة في أناقته وألبسته ونظافته. وعندما كان يغسل يديه ووجهه من عادته أن يغني. أما نوع الدخان فهو سيجارات اللف. وإذا سافر إلى موسكو لحضور الاحتفالات البوشكينية يدخن السيجار. ويأتي إلى الكنيسة قبل الجميع، ويغادر بعد الجميع.. يصلي ويذرف الدموع السخية، ويحب الموسيقا والرقص. ومن مأكولاته المفضلة عشقه للحلوى والكافيار والجبن السويسري والسلامي والسجق. ويضع رغيف الخبز الكبير في معطفه، ويحب الشاي الأسود بروبلين وأربعين كوبيكاً. ومن المشروبات المفضلة أيضاً النبيذ الأحمر والكونياك.

الغريب في الأمر أن دستويفسكي يكره من يقول له: كيف صحتك! تعرض لأزمات صحية عدة، وأصيب بمرض الغدد. وعانى من انتفاخ والتهاب في الغشاء المخاطي والطرق التنفسية والشكوى من دوار الرأس، ومن مرض الصرع في سنوات الطفولة، وكان يتعرض بمعدل نوبتين في الشهر. وتحسَّنت صحته في البلدان الأجنبية، بسبب السكينة والهدوء والمناخ الجيد المناسب. وترك رحيل أخيه مسؤولية إضافية لدستويفسكي، وإعالة أسرة مؤلفة من زوجة وأربعة أولاد، اعتادوا على بحبوحة العيش، وفجأة أصبحوا بلا أية موارد. أما دستويفسكي الأرمل والذي لم يكن لديه أطفال،

فيدور دستويفسكي

فكان عليه أن يدفع ديون شقيقه. وبالكاد كان مردود أعماله الإبداعية يغطي الحد الأدنى لمصروفه وتلبية حاجات أسرة أخيه. ولقاء (الجريمة والعقاب والأبله والشياطين) مثلاً حصل على مئة وخمسين روبلاً. وعن رواية (المراهق) نال مئتين وخمسين روبلاً. وعن (الإخوة كارامازوف) ثلاثمئة روبل.

قدّم دستويفسكي تضحيات كبيرة بسبب مواقفه السايسية. واعتقل في 22 نيسان عام 1849 ، في الرابعة صباحاً من منزله. وجمع الضابط برتبة مقدم كتبه ورسائله وأوراقه وربطها في حزمة واحدة. وتمَّ توزيع المعتقلين على الغرف بمعدل 8 – 10 أشخاص في كل غرفة. وقدموا لهم الشاي والغداء بأدب واحترام.

ابتكر دستويفسكي عملاً يومياً، فكان ينهض من السرير المعلق ويمشي ألف خطوة. وبهذه الطريقة طرد الأفكار الكئيبة السوداء من رأسه، لكنه أصبح يدخن بشراهة وحرم نفسه من شرب الشاي الساخن، بينما السجانون كانوا يقتحمون الزنزانة خمس مرات في اليوم. والطعام الذي يقدم له بسيط ومتواضع. أما الاكتشاف المخيف منذ الليلة الأولى، فكان وجود الجرذان بحجوم كبيرة.

استغل دستويفسكي محكوميته لمدة أربع سنوات بالأشغال الشاقة، واشتغل بالأدب. ونشر الجزء الأكبر من تفاصيل حياته في سيبيريا في كتاب بعنوان (ذكريات من بيت الموتى)، حيث أمضى أربع سنوات بالأشغال الشاقة، ثم عاد إلى بطرسبورغ. وقد توسَّم بالكتَّاب الشباب المبتدئين كل الخير. وكانت الموهبة الجديدة تفرحه. وفي كتاباته النقدية والاجتماعية، غالباً ما كان يعبر عن التحليل السيكولوجي، كما تتبدى السمات الدقيقة التي لا يمكن التقاطها، مثلما هي الحال في الشخصيات الأصيلة لخيرة مؤلفاته.

ومن أبرز نشاطاته أيضاً إصدار مجلة أسبوعية اسمها (الوقت)، أحرزت نجاحاً حاسماً وسريعاً خاصة في عدد المشتركين. ففي عام 1861 بلغ العدد 2300 مشترك. وفي السنة التالية بلغ 4302 مشتركاً. وكانت اشتراكات 2500 تغطي نفقات المجلة.

إن المنفى والأعمال الشاقة رفعا اسمه عالياً، وأديا إلى ازدياد شهرته، ومضاعفة عدد قراء رواياته وقصصه. وأثرت هذه الشهرة على نفسيته، إذ قال بفخر وتواضع لصديقه مرة: (اسمي يساوي مليون..!). أما السبب الثاني للشهرة فهو صدور روايته (مذلون ومهانون) عام 1861، وهي الظاهرة

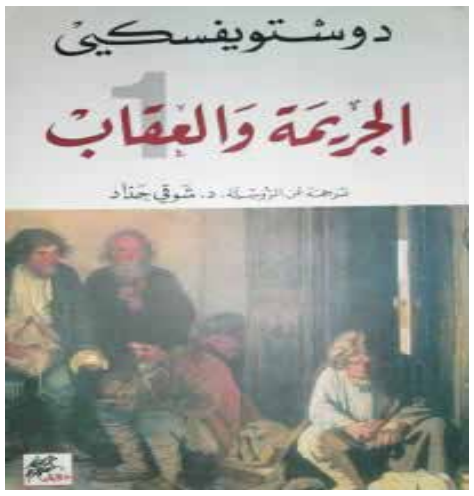

الأكبر في الأدب.. والسبب الثالث المزاج العام للجمهور الذي لم يُقبل، على التقليعات الأدبية مثلما كان يحدث في ذلك الوقت.

وسافر ديستويفسكي إلى (باريس ولندن). وهي السفرة الأولى في حزيران عام 1862. وكتب عنها مقالة بعنوان (ملحوظات شتوية عن انطباعات صيفية). وفي الكتاب تفاصيل كثيرة عن عائلته، ومن كان يكتب عن حياته ويشخّص حاله وأحواله وعلاقاته مع أصدقائه والمحيطين به. واحتل عنوان (المرض الأخير والموت) الرقم 17 في الفهرس. وكان عن مرضه وعذابه عندما تمزّقت شرايين الرئتين، وبدأ الدم يتدفق من حنجرته. وبعد أن تحسَّنت صحته قرأ بروفات الإصدار الأول من (يومياته)، ثم عادت صحته إلى التردي في 28 كانون الثاني عام 1881.

وأول بوادر انهيار صحته، سقوط القلم مع الغطاء على الأرض. واضطر دستويفسكي إلى أن يأخذ القلم من تحت منضدة الكتب، وبذل جهداً كبيراً. وأدى ذلك إلى تمزّق في شريان الرئة ونزيف من الحنجرة.

وفي شهادة لأحد أصدقائه جاء: (عانى دستويفسكي في السنوات التسع الأخيرة انتفاخاً، نتيجة لالتهاب الغشاء المخاطي للمجاري التنفسية).

بدأت سكرة الموت ليلاً بتاريخ 25 – 26 كانون الثاني/ 1881 من الأنف. وفي 28 من الشهر نفسه أصبح سليماً معافى، لكنه في الرابعة بعد الظهر بدأ أول نزيف في الحنجرة. ثم حدث نزيف آخر أقوى من الأول. وفَقَدَ دستويفسكي الوعي.. وكان كتاب (يوميات) سيصدر في 31 كانون الثاني. وحينما غادر الخوري المنزل بعد أن باركه. دعا فيدور دستويفسكي زوجته وولديه إلى غرفته ورجا الأم أن تفتح ثانية الإنجيل، وتقرأ عن الابن الضال، ثم عانقهم وبكوا جميعاً. وبدأت قوته تنهار ساعة بعد ساعة. ومع استمرار النزيف صار يفقد الوعي.. عندئذ دخل أصدقاؤه إلى غرفته لوداعه.. وشارك في جنازته ثلاثون ألف شخص..

ومن أقواله المشهورة (هل من المعقول أن لا أمسك القلم بيدي؟ يا إلهي! ما أكثر الشخصيات التي أبدعتها من جديد. فهي ستهلك وتنطفئ في رأسي! نعم إذا كان من المستحيل أن أكتب فأنا سأهلك. من الأفضل أن أسجن خمس عشرة سنة والقلم في اليد).

سمير عامودي من خلال «التباسه»

وفيق سليطين

تأتي سردية «سمير عامودي» الروائية «التباس»(1) بعد سبعة أعمال تتالى نشرها بين عامي «1989» و«2003»، منها: «حارة البحر»، و«بقايا النهار»، و«وقبر العبد»، و«جنازة»، و«منشر شمس».

ولعلّ أهمّ ما يميّز كتابة «سمير عامودي»، بصورة عامة، هو نزوع التجريب، وهاجس البحث عن تقنيات سردية، لا تترسم الهيئات المضروبة في مسارات السرد المذلَّلة، بقدر ما تحاول أن تنأى عنها، لاجتراح ممكنات أخرى تعيّن صاحبها بدلالة الاستكشاف والاختلاف.

يبدو شيء من ذلك في مجمل الخصائص الآتية:

أ ـ الإعراض عن الحكاية.

ب ـ كسر مجرى التتابع السردي.

جـ ـ تدخّل السارد في الحكي.

د ـ إيقاف السرد والتعليق عليه.

هـ ـ تنحية الاهتمام برسم الشخصيات ومتابعة تطورها.

و ـ ملازمة اليومي والعادي في اللغة والأحداث.

ز ـ الاحتفال بالتداعيات، وربما الهذيانات.

وإذا كانت هذه الخصائص تَسِمُ أعماله المختلفة، بتفاوت، فإنها تتبدّى، على نحو أميز، في سرديته الموسومة بـ «التباس»، التي نحاول، فيما يلي، أن نلقي عليها ضوءاً كاشفاً من خلال بعض المحاور الدالّة.

1 ـ من الحكاية إلى الخطاب:

على هدي المقومات السابقة، يتضح أن «سمير عامودي» يُعنى عناية خاصة بالخطاب؛ أي بطريقة تقديم المادة السردية، وكيفية تنظيم الأحداث وآليات صوغها، ويعني ذلك، فيما يعنيه، أنه يعلّق المجرى الكرنولوجي ويُفتّت منطقه، أضف إلى ذلك أنه لا يقدّم سرداً «أورستياً»؛ لأنه من لوازم الحكاية التاريخية، من حيث إن زمنها، دائماً، هو ذلك الماضي الذي لا يمكن تحديده.

ولعلّ هاتين الخاصيتين، فضلاً عن مقولة الضمائر السردية، هما من أهمّ ما يميّز بين الحكاية والخطاب، كما تُفصح عنه التأسسات النظرية، بدءاً من «توماشفسكي» الذي يميّز بين « المتن الحكائي»، و«المبنى الحكائي»، مروراً بتمييز اللساني الفرنسي «إميل بنفنست» بين نظامين من التلفظ، هما نظام الحكاية ونظام الخطاب، وصولاً إلى تأكيدات «تودوروف» المعاصرة (2).

في مقابل كسر منطق التتابع الزمني، كما يجري في الواقع، يقدّم «سمير عامودي» سرداً متشظياً يلفتُ إلى ذاته، فيما هو يشير إلى غيره في لعبة التمثيل الكنائي «الأليجوري»، الذي سنتوقف عنده، ونعرّف به بعد قليل.

ومن دواعي إيضاح ما سبق، نثبت ههنا بعض الشواهد المنتزعة من غير موضع من «التباس»، فنقرأ على سبيل المثال: « قلت في أكثر من مرّة إن الجنس يلزمه المال، مثله مثل السياحة (...) مثل هذا الكلام يجب ألا يُفهم هاهنا إلا في مجال توارد الخواطر، فلست في صدد مقارنة أو مقاربة. وقد يمرّر السرد مثل هذه القضايا «(3). ونقرأ في مكان آخر، قول السارد: «حتى القارئ قد يذهب بالسؤال إلى أبعد من ذلك، وسأقترح أنه يبحث عن تعيين له داخل النصّ»(4).

ومن البيّن أن هذه الأمثلة وما إليها ـ وهي كثيرة ـ تلفت إلى ضرب أو آخر من الهندسة النصية، أو إلى ضرب من التدخل في معالجة الكتلة السردية وإعادة تنظيمها تقنياً، استناداً إلى التشديد على مقولة السارد، وتوكيد أهميتها في بناء السياق.

2 ـ مقولة السارد وتقنيات تنظيم الخطاب:

في منحى التركيز على الطريقة التي تُروى بها الأحداث، يصبح السارد مقولة رئيسية في إنشاء الفرق وتعيين نظام الخطاب. هكذا نجد عند «سمير عامودي» وضعيّات السارد المشارك في الأحداث، والممثّل في الحكي، والمنفصل عنه، أحياناً، بحكم التوقف والانقطاع وكبح التدفق السردي. ومن شان ذلك كلّه أن يمنح السرد إمكانات مختلفة، تتبدّى في نحو التقطّع والتداخل والمباعدة والاختلاط، وكذلك في صور الاندفاع في الوثبات السردية غير المعلّلة.

وغالباً ما يأتي ذلك اعتماداً على تقنية « تيار الوعي»، التي تتيح للسرد أن يتدفق في خطوط متكسّرة، بعيداً عن الرقابة العقلية. والنتيجة المترتبة على ذلك هي تشويش صورة العالم المسرود، وتعطيل رسوخ انتظامه الظاهر.

إذا كانت تقنية « تيار الوعي « تتصرّف بالسرد بطريقة كاشفة عن المشاعر والأحاسيس في عشوائيتها، دون اعتبار للسياق المنطقي، ودون ضبط التمييز بين مستويات الواقع، على نحو ما يشير إليه « وليم جيمس « في سكّ المصطلح وبسط المفهوم(5)، فإن ذلك يترافق مع تقنية أخرى يعتمدها « سمير عامودي»، هي لعبة الإيهام وكسره، أو التغريب ونزع الألفة المستقدمة، في الأصل، من المسرح. ويترتب على مثل هذه الممارسة خلخلة النسيج السردي، وتفكيك الروابط النظامية للعالم المسرود، في تواجه عمليتي الدخول والخروج، أو الاستنامة إلى المتخيّل وتعطيل الانقياد له بالتنبيه عليه، في مزاوجة بين « fiction « والـ « metafiction»، من شأنها أن تؤسس للالتباس السردي. نقرأ على ذلك مثالاً من النصّ: « وربما ورد هنا أو هناك خارج النصّ أن وفاء فَتحتْ لي بيتها «(6)، ومثالاً آخر: « من الممكن أنني ذهبتُ إلى مديرية النقل (...) ويحدث أنني صادفتُ صالحاً (...) ليس لديّ ما يؤكد أو ينفي... وكل ما حصل تخييل بتخييل «(7).

3 ـ التشخيص الروائي:

إن ما يميّز الخطاب الروائي من غيره هو كونه خطاباً تشخيصياً. وهذا مبدأ مستقرّ في نظرية الرواية، منذ إشارات «إيخنباوم» في كلامه على السرد التشخيصي، وهو سرد يتجلّى في حضور السارد بطرق مختلفة.

وإذا كان «سمير عامودي» يؤثر حكي الحياة اليومية في نثريتها ووقائعها الموسومة بخشونة العادي وتفاهته الصادمة، دون زركشات، وبعيداً عن الاصطناع البلاغي، فإننا نجد أنفسنا أمام سرد تشخيصي للعادي واليومي، على خلاف «النموذجي». وقد سبق أن اشتغلت على ذلك بعض تيارات الرواية العربية الحديثة، «صنع الله إبراهيم» مثلاً.

هذه المياومة في أفعال السرد لا تُعنى بالغوص النفسي، ولا بالتسويغ الإيديولوجي. ويترتب على ذلك انعدام الوظائف التنبيهية التي تعمل على توجيه القارئ؛ لأن السارد يتعامل مع محيطه تعاملاً حيادياً، فيكتفي بتقديم جملة من الأفعال المتلاحقة، ويضعنا مباشرة أمام وقائع وتفصيلات تتسِمُ عادةً بالعرضية والعبور.

ومن شأن هذه العناية باليومي، في التشخيص الروائي، أن تُفقد السرد تماسكه التقليدي. وبهذا تنتفي الحبكة، فلا نعثر على خيط سردي يربط الأفعال والأجزاء. وبناءً عليه، أيضاً، يلاحظ أن الشخصية تفقد ملامحها وعمقها النفسي والاجتماعي. ومن هنا كنّا نجد في «التباس» «سمير عامودي» شخصيات باهتة الملامح، أو شخصيات بلا أعماق، تبدو في أقوالها وأفعالها أقرب إلى مستوى الأشياء اليومية، أو هي أسيرة علاقات هذه الأشياء، وقائمة بدلالتها، ومشدودة إليها بطريقة لا تخلو من إضمار التبليغ وحفز الدلالة.

4 ـ البنية الأليجورية: المباعدة الفنية والتمثيل الكنائي :

تنشيءُ سردية « التباس « واقعاً موازياً يمثّل ما هو خارجه، أو يشير إليه، انطلاقاً من دلالة العنوان التي تغزو مفاصل العمل، فتكفُّ ظهور المرجع، بمقتضى الالتباس أو الاحتمال، وبنثر الحوافز الفنية وقرائن التخييل، وبإحالة الرواية على الرواية، والسرد على السرد، كما هو حال الإشارة إلى « الغابة النروجية « لـ « هاروكي موراكامي «وإلى « الصرصار « لـ « كافكا».

ومن خلال المسافة التقنية التي توحي بالمباعدة الفنية وإحالة الكتابة على نفسها، تترشح، من الجهة الأخرى، أفعال التمثيل في إحالاتها الضمنية على مرجع الكتابة، أو عملها على تشخيص النصّ الدنيوي، حسب عبارة ط فيليب هامون «(8).

من هنا تغدو أفعال العبور، وتفصيلات اليومي، وبهوت الملامح الشخصية، وضروب التسليع الجنسي، والأخلاقي، والقيمي، مرايا عاكسة للعالم الواقعي. فليس حضور الأشياء هنا إلا تمثيلاً لتشيؤ العلاقات الاجتماعية، في عالم ينهدم صرحه المثالي على مسرح العبور والاستهلاك؛ إذْ لا وجود للمعنى والحقيقة في مجتمعات المال والنفاق، ذلك أن السلعة هي التي تنادي، وتتمدّد، وتلقي بصفتها على كل شيء، كما في الشاهد: « ابتسم قائلاً: إذا كنتَ قد فهمت فلماذا لا تدفع؟ (...) ولما قلتُ لأحمد: ما عندك أخلاق، كادت الكرسي التي يجلس عليها أن تنقلب من كثرة ما ضحك، كأنه يقول لي: جُننت؟ أخلاق؟ أين يبيعونها؟ «(9).

من خلال ما تقدّم، يبدو أن «سمير عامودي» أراد أن يقول في « التباسه « : إنّ سطح الصورة هو عمقها، وما هو عاديّ ليس عادياً تماماً، كما أن انسحاب القيمة يردّ بقرينة الغياب على ضرب متوارٍ لحضورها الأمثل.

وعلى هذا الأساس يتّضح أن ما كان من تسطيح مكوّنات العالم السردي وإبراز شيئياته على نحو فاقع، ليس أمراً خارج الدلالة. ويلازم ذلك، في الوقت نفسه، أن مجمل الأداء التقني الموصوف كان يوسّع المسافة بين السرد والعالم المرجعي، محتفظاً للقارئ بفسحة المشاركة في إنتاج الدلالة، وإعادة مَخْض الصياغة، والاتساع بحركة التأويل.

الإحالات:

1 ـ سمير عامودي: التباس، بالتعاون مع دار أروا د للطباعة والنشر والتوزيع، طرطوس، 2012م.

2 ـ ينظر: محمد الباردي: إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000م، ص5 ـ 6.

3 ـ سمير عامودي: التباس، ص18 ـ 19.

4 ـ المصدر السابق، ص31.

5 ـ ينظر: إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس، 1986م، ص116.

6 ـ سمير عامودي: التباس، ص34.

7 ـ المصدر السابق، ص75.

8 ـ ينظر: رولان بارت: أثر الواقع، نقلاً عن محمد الباردي: إنشائية الخطاب، مرجع سابق، ص11.

9 ـ سمير عامودي: التباس، ص38.

صليب الطين رواية جديدة للأديب الدكتور إسماعيل مروة

عن دار التكوين بدمشق صدرت رواية جديدة للزميل الدكتور إسماعيل مروة بعنوان (صليب الطين)..

شخصيات وأحداث الرواية تحكي قصة المحنة التي يمر بها الوطن منذ عامين ونيف.. وجوه من الأوساط الإعلامية والاجتماعية والثقافية تشبه إلى حدٍ بعيد وجوهاً تعيش بيننا يجمع ويرى فيها وجوهنا ربما أو أحاسيسنا بكل تأكيد..

من أجواء الرواية:

((وقفت غزل أمام المرآة بلباس أسود، خلفها شجرة الميلاد وكل الأمنيات عليها سوداء.. وراحت تقرأ ما بين يديها من أوراق، وتحدث نفسها.. حقاً إن الأحلام تفسد عندما تتحول إلى حقيقة..

حياته بيدي لماذا لم أطلها ببقائي في الحلم؟

أريد ولداً يشبهه شكلاً وروحاً، لابد أن يأتي سيأتي، إنه في سفر مؤقت.

بدأت بتعليق صورها، وقصاصات ورق عليها عبارات تخصها، كلها كانت تقول: «لم يعد في العمر بقية.. رسمت شارة الصليب، وبدأت بمناجاة يسوع في خشوعٍ لم تعهده من قبل..»)).

وسبق أن صدرت للأديب الدكتور اسماعيل مروة عدة أعمال روائية وقصصية كان آخرها (ودم الذبيح) (وقواقع عشر) (الشمس تشرق غداً) (لا خبز لا حشيش لا قمر) ـ (شام، وجدانيات) وغيرها..

البَشْعَة..!

عدنان كنفاني

حدث الأمر كلّه في زمن غائب!

كانا يسوقان قطيعيهما إلى المرعى القريب من مضارب قبيلتيهما.. وهناك تقاتلت كلاب القطيعين، بعد أن اختلط القطيعان، لكنهما نايف وعمران يعرفان تماماً ما يخصّ كل واحد منهما.. فكل قطيع يحمل مغرة لونها يختلف عن غيرها، ولهذا لم يباليا بما يجري، وتركا القطيعين يرعيان، والكلاب تتقاتل وانطلقا للصيد، وعندما اقترب المساء، وأزف موعد ورود الماء لسقاية القطيعين، وأراد كل من نايف وعمران السباق أيهما يروي قطيعه قبل الآخر، تشاجرا، وما كان من عمران إلا أن ضرب نايف بعصاه الغليظة فشجّ رأسه..

الحادث كله بدا وكأنه شجار بريء بين شابين، لكن ما وراء الحادثة هو الذي دفع عمران وأهله القلائل أبوه وأخته إلى مغادرة مضارب القبيلة والاختفاء بعيداً عن غضب الشيخ الدهيش وأهله، ولو في انتظار أن تبرد حماوة الدم، أو يفصل "العارفة" بينهما.

نايف ابن الشيخ الدهيش، سبق أن رفض عمران طلبه للزواج من أخته خضرة، ولم يكن من سبب غير أن خضرة، لم توافق على الشاب من دون أن تبدي سبباً.

ومن هنا كان التصور أن ما بينهما من رواسب قد يحرض أحدهما على إيذاء الآخر.

كان عمران يجلس على ركبتيه متوتراً بين يدي "العارفة" مطلق بعد أن ترك على باب المضافة حماره المحمل بكيسين من السكر وعلبة سمن وخروف كبش، ووضع تحت الوسادة التي يجلس عليها مطلق رزمة من المال..

- شهران لم يختصم عندي اثنان يا زيد..!
- الأمل بالله يا شيخ.
- العارفة يا الغبي.. العارفَة.

ويسرح بناظريه.. هي القبيلة الصغيرة التي يقوم عليها، عشرون رجلاً مسلّحاً، هم عدّته ويده الضاربة لتنفيذ الأحكام التي يحكمها، ولو تأبّى أحد من المحكومين، وتمرّد عن الطاعة، فرجاله الأشدّاء قادرون على تأديبه.

غلاظاً شداداً مع زوجاتهم وأبنائهم يعيشون على مائدته.. كانت الأعمال فيما مضى مزدهرة، فانتقل سريعاً من مضارب الخيام إلى بيوت أنيقة متناثرة هنا وهناك على نسق الخيام التي كانت، لكنها تحتل مساحة من الأرض إلى جانب بئر ماء ثريّ، وأرض خصبة..

كانت أياماً.. الجميع يعملون بجد، وينفّذون أوامر العارفة مطلق من دون سؤال أو اعتراض، ويعيشون في بحبوحة ورغد.. اللحم يملأ موائدهم في كل يوم، والقطيع يكبر ويكبر، والنسوة يخلّفن في كل سنة أطفالاً يكبرون، والقبيلة الجديدة تكبر والعارفة مطلق.. سيد القوم، ووليّ النعمة..

تراخت الأعمال، وأخذت قاعات المحاكم في المدينة اهتمامات الناس، وصارت تلجأ إليها في المخاصمات، مما تسبب في فتور أعمال العارفة مطلق، وشكواه، وتململ رجاله من قلة الأعمال وسوء الحال، وكان أن جاء نايف بقصته وقضيته كقشّة يمكن أن تنقذ الموقف ولو إلى حين..

اعتدل العارفة مطلق في مجلسه على فراشه، وراح يرحب بالضيف، اقترب زيد من العارفة، وهمس في أذنه بكلمات جعلته يبدو سعيداً، ويضاعف ترحيبه بالضيف الغريب..

- يا زيد.. خذ الضيف إلى مضافتنا الغربية، ويسّر له سبل الراحة حتى ننظر في أمره..

شيحان وعمران.. والعارفة بين قضيتين سقطتا عليه بعد طول ركود من السماء، يفكّ بهما ضائقته. قضية عمران والشجار الذي أدى إلى إسالة دماء، وأخرى تبدو تافهة أكثر، وشيحان لا يكف عن المثول في كل يوم بين يدي العارفة مطلق، يرجوه شاكياً باكياً أن

يعيد له خمسة خراف، سُرقت من قطيعة الصغير، هي كل ما يملكه من حطام الدنيا.

- يا العارفة.. كبش وخروف وثلاث فطايم..

تململ العارفة في مجلسه، وأردف حطّته الحمراء المنقطة وراء ظهره، وأرسل ابتسامة رضى..

- يا زيد.. خذ بعض الرجال وتقصّوا أثر سارق خراف شيحان..

وبدا العارفة سعيداً وهو يستمع باهتمام إلى تقرير زيد عن واقعة السرقة والآثار التي تركها السارق.. ضحك ضحكة عالية، ثم اعتدل في مجلسه، وقال:

- زيد.. خذ معك بعض الرجال وأحضروا لي "متعب" من عرب الرمامشة الآن..

وما هي إلا ساعات حتى كان متعب في مجلس العارفة الذي أمر بإخلاء المكان..

- اسمع يا متعب.. أنا أعرف أنك أنت سارق خراف شيحان، لكنني أحبك ولا أرضى لك الفضيحة..

أردف وهو يلقي بنظره إلى ملعقة مسطّحة من نحاس معلّقة على الحائط:

- أو تخضع أمام الناس لاختبار البشعّة؟

صرخ متعب بفزع..

- لا.. أستحلفك بالله يا العارفة لا.. البشعة.. لا، وأنا تحت أمرك.

لم يجرؤ متعب على النطق بحرف، وقد أسقط في يده، وهو يدرك تماماً بأن العارفة لا يقول عبثاً، وأنه لا بد يخضعه لاختبار البشعة، كان يرتجف فزعاً وهو ينتظر قرار العارفة، الذي ابتسم بودّ وتابع بهدوء:

- عد الآن إلى عَرَبك، وانتظر ساعة أرسل لك زيد تعيد معه الخراف الخمسة، ومعها خمسة أخرى، ونطوي الموضوع تحت هذا البساط..

خرج متعب وهو يقلب الأمر بوجوهه الكثيرة، لكنه لم يجرؤ على الاعتراض أبداً، بل سكت موافقاً..

شيحان يأتي في كل يوم إلى مضافة العارفة يشكو أمره، والعارفة يشيّعه بالأمل، وأنه لن يخسر غير الصبر وأن خرافه المسروقة ستعود إليه.

نايف ينتظر بقلق حُكم العارفة..

- يا بن أخي غداً سنقيم اختبار البشعة لكشف سارق خراف شيحان.

- وماذا عني يا العارفة؟

أمسك العارفة بالبشعة بين يديه، وأردف، وهو يفتعل الجدّية في حديثه:

- سينتهي كل شيء بعد البشعة، وأنت ستحضر أيضاً.

- أنا.. وما دخلي أنا بالأمر؟

قال نايف، وهو يرتجف خوفاً، لكن العارفة في سعيه لطمأنة نايف، تابع بجدية:

- عند اختبار البشعة يجب أن يمتثل كل الحاضرين.. وأنت بينهم.!

- ولكن يا العارفة أنا أخاف من البشعة.

- كيف تخاف وأنت بريء وبعيد عن الموضوع كلّه؟

سكت قليلاً ثم أردف دون اكتراث:

- في كل الأحوال عندي حل آخر ربما يرضيك، وأنت من قبيلة الشيخ الدهيش.. صديقي..

تنفس نايف الصعداء، وهو ينتظر من العارفة أن يفصح عن الحلّ الآخر:

- هي خمسة خراف لن تؤثر في حجم قطيعك الكبير، نعيدها إلى شيحان من دون أن يعرف أنها منك ونغلق أمره..

- موافق سأعطيه خمسة خراف من قطيعي.

في اليوم التالي.. كان زيد يقود خراف شيحان المسروقة من بين قطيع متعب، ويعود بها مع خمسة خراف أخرى إلى قرية العارفة، في الوقت الذي كان إعلان الأحكام سيجري مساءً بحضور شيخ الدهيش ونايف وشيحان.

اعتدل العارفة في مجلسه بين الحاضرين الذين ينتظرون بلهفة الحكم، وبين يديه البشعة الباردة يطرق بها على طرف المنقل ويحرك بها الجمر.

- شيحان.. اذهب مع زيد واختر أفضل أربعة خراف من القطيع، أما الخروف الخامس فهو أجرة القضوة.

وبينما كان شيحان يرقص فرحاً، كان العارفة يتبادل النظر مع نايف الجاثي راكعاً، ينتظر الحكم.

- أما أنت يا نايف.. فقد حكمنا عليك بدفع عشرين نعجة للشيخ الدهيش تعويضاً عن فعلتك، والنفي حولاً كاملاً عن مضارب قبيلتك، فاذهب برفقة عدد من رجالي، وأحضر أهلك وقطيعك إلى عربنا، وأقم بيننا عزيزاً كريماً.. حكم خالص لوجه الله لا نبغي من ورائه جزية ولا عطيّة..

وبينما كان الجميع يخرجون من مضافة العارفة راضين.. اقترب زيد من العارفة، وهمس في أذنه:

- أحسنت يا قاضي العربان يا سيدي الشيخ!.

- العارفة يا الغبي.. العارفة.

وتبادلا ابتسامة..

- - -

العارفَة: وهو القاضي الذي كان يفصل في قضايا العربان، وأحكامه كانت نافذة.

البشعة: ملعقة مسطّحة من النحاس تحمى على النار حتى تحمرّ، ويجب على الخاضعين للاختبار أن يلحسها كل واحد بلسانه.. ومنها يكتشف الفاعل.. الأحجية أن اللسان المغرق باللعاب لا يتأثر بحرارتها، لكن من يجف ريقه، والخائف لا بد تحرقه..

أحترق وسط الثّلج

بسام جميدة

منذ زمن لم أداعب
عواطف كلماتي..
ولم يعانق قلمي أوراقي...
ويغازل ذكرياتي..!
ظننْتُ اليباس...
قد زحف لأشواقي..
الدمع تَحَجّرَ في المَآقي..
يداهمُني الحزن...
مثل غمامة سوداء...
ليعتصرَ الجسد والرّوح معاً
فأغدو مثل شوكة برّيّة...
تحملُ مرارَتها في العروق..

****

أحملُ حزني وانطفائي...
أتجوّل مُتعباً..
بحثاً عن ملجأ..
زاهداً أتوه...
في مَنفى العمر..
ألملمُ شتاتي..
أواصلُ المَسير..
أراجعُ حساباتي..
فأدرك أنّني إنسانٌ مطرود
من نعيم الهدوء..
لا أعرف كيف تستقرُّ روحي..؟
ولا كيف تهدأ عن الحلم...؟

****

أذوبُ حزناً...
كطفلٍ يسيرُ حافياً..
يمْقتُ العالمَ بعينين بريئتين..
فكيف الآن...؟
وأنا الواقفُ بينَ أنقاضِ الخطايا
في زمن لم يعدْ فيه للصّدق مَنزلا...
ولا للحبّ وسام...
ولا للوفاء تقليد..
أسير بين قناديلِ الليل...
وأضواء النهار التي يوقدُها الغاوون
فأتوه...
أتوه في حلم...
لا أودّ الاستيقاظ منه.

****

تلحّ عليّ الأسئلة..
عن الأشخاص..
والأمكنة..
والأقنعة الزائفة...
ويأتي الجوابُ مُكدّراً...
وممزوجاً بعلقم..
يكوي الحناجر...
إنّها الأيّام..
التي تدور رحاها علينا
تعصرُنا...
لتعرف مَكمن صدقِنا...
وها نحن نعيبُ الأيّام

والزّمن...
(والعيبُ فينا)
ما أصعبَنا حيالَ أنفسِنا...!
وما أصعبَنا حيالَ الآخرين...!
وما أصعبَ الوضوحَ حيالنا!

****

تُغْرقني تفاصيلَ الخِداع...
في هذا الزّمنِ الصّعب..
وأسبحُ في نهر الكلام المعسول
الذي يتبادل النّاس
شُربَ أنخابِه...
أُفاجأ بالزّيف...
ورنين الضّحكات المُخادعة...
يؤلمُني...
خنجرٌ مدسوسٌ
في ظهري
من صديق..!
وهو يقبّلُني...
تقتلُني ابتساماتُ الودّ
وقبلاتُ المحبّة الخادعة...
تجرحُني أشواكُ وردةٍ حمراء
رائحتُها زكيّة
مُهداة من غيرِ نفس...
توجعُني المسافات
فيما بيننا مع أنّنا نسيرُ الهُوينى
في دربٍ واحد
جنبا إلى جنب.

*****

صديقي...
غابَ الصّدق
فتاهتْ بنا السّبل...
غابَ الحبّ
فأجدبتِ القلوب
أصبحتُ كالبراري
لاتسمع فيها
سوى صدى
لعواءِ الذّئاب.

****

لمن أشتكي حزني...؟
قلقي...
أيّتها اليمامة..
وكلانا محاصرٌ بمساحات الفُرقة..
والزّيف...؟
قدرنا أن نضيءَ سراج الحبّ
ونشتعلَ بنيرانه...
ونعملَ بالصّدق
في زمنِ الكذب...
قدرُنا أنْ نعيشَ هكذا...
وقدري أنْ أحمّلَ كلامي
باقة أحزاني
ألفُّها بشريط أوجاعي
كي أستريحَ..
ما اعتدت أنْ أشكوَ
للنّاس جرحي
ولكنْ حسبي...
أنني فجّرت
ينابيعَ القهر
المكبوت في داخلي...
لتنسكبَ على ورقٍ
لتكوّنَ جدولاً بريئاً
من دنَس الآخرين
آملا أنْ لا يغسلوا فيه خطاياهم.

عفن

محمد الحفري

أغلي قهوتي الصباحية وعيناي تجوبان المطبخ بنظرات استطلاعية سريعة لأعرف أول شيء سأبدأ به عملي لهذا اليوم..

أحتار من أين أبدأ، صحون هنا وكؤوس هناك و«طناجر» وملاعق في أماكن أخرى، ازدحام المطبخ يشبه ازدحام زوارنا عند كل مساء.. أواني الطبخ غير المغسولة تذكرني بوجوه زوارنا المقنعة بغير ما تضمره، بعيونهم المتلصصة باحثة عن كل عيب وعورة، بأسنانهم التي تمضغ الطعام كما تمضغ ألسنتهم سيرة أي غائب منهم..

يتوقف بصري عند زاوية المطبخ الشمالية، لأكتشف بقايا قطع الخبز التي نسيتها فانتشرت هناك، بعضها تبلل وبعضها الآخر بقي جافاً..

أطفئ النار تحت القهوة، وأحاول أن أبدأ يومي بلملمة بقايا قطع الخبز، وعندما أقترب أكثر أرى فرناً وأرغفة ساخنة تخرج منه، أشتم رائحة خبز شهي.. أدير البصر فأرى فراناً يخلط الدقيق ويغش.. تتغير الرائحة، تتبدل سريعاً ليمتلأ أنفي برائحة العفن الأبيض..

أكمل لملمة بقايا قطع الخبز، فتفاجئني ضحكات أصدقاء زوجي وزوجاتهم «صديقاتي» كما أتوهم، أخال نفسي أندمج مع أحاديثهم ومع حرارة اجتماعاتنا، ودفئها، أدير البصر لأرى خياناتهم وكذبهم ونفاقهم، تتحول أصواتهم إلى نعيق بوم وحميمية جلساتنا إلى ثلج حارق..

العفن بيدي أحاول أن ألمه، فأكاد أسمع صوت الباعة وهم يبيعون اللحم الأبيض بأبخس الأثمان، عندها أرى أمي، أختي، ابنتي، صديقاتي كلهن بدور البغاء، أنظر إلى بقايا الخبز الذي تمسكه يدي، فإذا به يمتلئ بالعفن الأبيض المخضر..

أحاول أن أكمل ما بدأته، لكنني أرى العفن يتحول وينقلب سريعاً إلى اللون الأسود، ليملأ خبزي ويمتد ليدي.. أركض نحو صنبور الماء لأغسل ما علق بيدي، لكن العفن انتشر بكل أرجاء المطبخ، وبدأ «يتعربشني».

أمد يدي كي آخذ قهوتي وأنسل هاربة من العفن، وإذ به قد غطاها، أهرول هنا وهناك محاولة الفرار، ولكن إلى أين والعفن الأسود يمتد ويزحف بسرعة من دون توقف؟!

أصحو على يد زوجي وهي تهزني بعنف، كي أنهض وأعد له قهوته الصباحية قبل أن يغادر إلى العمل.. أقف مذهولة باحثة عن العفن، وسؤال وحيد يدوخ رأسي منذ سهرة البارحة: هل العفن يملؤنا أم نحن العفن؟...

ياسمين دمشق

عبد الكريم يحيى عبد الكريم

«أتوفيقُ إني جبانٌ أمام رثائكَ... فارحمْ أباكْ»
ـ نزار قباني

أتوفيقُ .. طفلَ العقيقْ
يحبُّك فُلُّ دمشقْ
يُعزّي وفائي بنهر البياضِ
وعطرِ البياضِ
وتبكي دمشقْ
.....
حنيني دمشقْ
مدينةُ حلمٍ وورودٍ وعشقْ
سحابُ غنائي دمشقْ
مدينةُ سحرٍ
مدينةُ عطرٍ وشعرٍ: دمشقْ
.....
أتوفيقُ.. ظلّي الغريقْ
يسيل على وجعي بردى
ويغرّد في دمعتي ياسمينُ دمشقْ
يعزّي جرارَ دمي الياسمينْ
غدا وَلَهي الياسمينْ
غدا لهفتي الياسمينْ
وأهلُ الشآم إذا عَبِقَ الياسمينُ يقولونَ:
هذي دموعُ نزار
وأهلُ الشآم إذا أزهر الياسمينُ يقولونَ:
(فَتّحَ) قلبُ نزارْ
غدا قمري.. سهري الياسمينْ
.....
فراشة حزني.. يمامة سجني
يجيءُ زمان يُداس به الياسمينْ
يُحرِّقُ فلُّ الحنينْ
يفيءُ العماءْ
ويطغى الرمادُ.. فلا الغرب غربٌ ولا الشرق شرقْ
وتغرقُ شمسُ دمشقْ
.....

أميريَ توفيقُ.. طفلَ الرحيقْ
غداً سأراك هناكْ
أيا طفل حزني العتيقْ
هناكْ
تمرّ خطاكْ
على موكب السحرِ... يزهو ضحاكْ
أثيريَ توفيقُ: هدباءُ.. زهراءُ تبكي رؤاكْ
تنوح القصائدْ
وتنعى حمامَ نداها المساجدْ
.....
أميرَ الأساطيرِ.. يا وجعَ الوردِ
تغتالني الأمنيهْ
ويبقى دمي أحجيهْ
أراكَ هناكْ
تخطُّ على الأقحوانِ بهاكْ
فَدَعْ غيرَ قلبي يُقَطِّرْ نداكْ
ودعْ غيرَ قلبي يُزَنِّلْ شذاكْ
فقلبيَ لا يستطيع دموعَك..
فارحم أسى القلب.. وارحم أباكْ
.....
أميرَ الخرافةِ بتُّ أخاف الذهاب إلى القاهرهْ
أخاف المرورَ على النيلِ.. أضواءَ نيلٍ.. مراكبَ نيلْ
عتابي طويلٌ كسُبحةِ نهرٍ.. كخيطِ دمٍ
طعنتْ فجريَ القاهرهْ
حين ضيّعتِ الحلوَ منّي
وأغرق أفراحَ قلبيَ نيلْ
أميرَ اللطافةِ.. صرتُ أخاف الذهاب إلى القاهرهْ
جفونيَ صارتْ مآذنَها
ودموعيَ نيلْ
.....
حبيبيَ توفيقُ.. تبقى هناكْ
صديقاً لنرجسةٍ عائمهْ
ستبقى هناكْ
وفيّاً لساحرةٍ هائمهْ
تبوسُ النهار بعينيك.. تمحو دُجاكْ
.....
أمير الخرافةِ.. عصفورَ شوقي الطليقْ
ستخفى بعيداً كسرٍّ عميقْ
أمامك سبعُ نوافذَ يابنَ الرحيقْ
ستدخل في قصب الناي
تُحْبَس في قامةِ الناي.. صوتاً سحيقْ
كذاكرة الرملِ.. أحلامِ أندلسٍ في العقيقْ
.....
أتوفيقُ: نيلوفرَ الحبّ
توأم شِعري الرّقيقْ
غداً يعلنون وفاتي
بطيفِ جنازة عشبٍ
وطوقٍ من الفلِّ.. طوقٍ من الياسمينِ
تضنُّ عليَّ البروجُ
ولكنَّ أهلي يحبّونني.. لن يضنّوا عليّ
وأهليَ كلُّ زكيٍّ وكلُّ أبيّ
غداً يعلنون وفاتي
سأحيا وحيداً
إذا غربتْ شمسُ بلقيسَ
بلقيسُ تُقْتَلُ
بغدادُ حُلْمَيَ تُقْتَلُ
يبكي رؤاها عمرْ
وزينبُ تبكي القمرْ
وأبقى وحيداً
متى يعلنون وفاتي
مللتُ مديحَ النساءْ
وسوف أخطّ بمحراث قلبي كتابَ الرثاءْ
رثاءِ الأحبّةِ:
*أمِّ البراءاتِ بلقيسَ
*أمي
*أبي
*أنتَ يابنَ البريقْ
هو الموتُ دوماً يحاربني
أينما كنتُ.. إني بدمعي غريقْ
.....
كم حبيباً سأفقدُ؟
كم عزيزاً سأُلحدُ؟
كم من الحزن والأسى
والمراثي سأُولدُ؟
ليتَ مازرتُ عالمي
لا.. ولا ضمّني غدُ
ليتني صرتُ نجمةً
في المداراتِ أبعدُ
أو سحاباتِ نرجسٍ
في الفضاءاتِ أصعدُ
في البراري وماسها
والمواويلِ أشردُ!
.....
هنالكْ
حبيبيَ توفيقُ.. بين الملائكْ
أراكْ
على الوجد تهفو خطاكْ
فَدَعْ غيرَ قلبي
وَدَعْ غيرَ حبي يُقَطِّرْ شذاكْ!

حواشٍ على متن المحبوب

حسني هلال

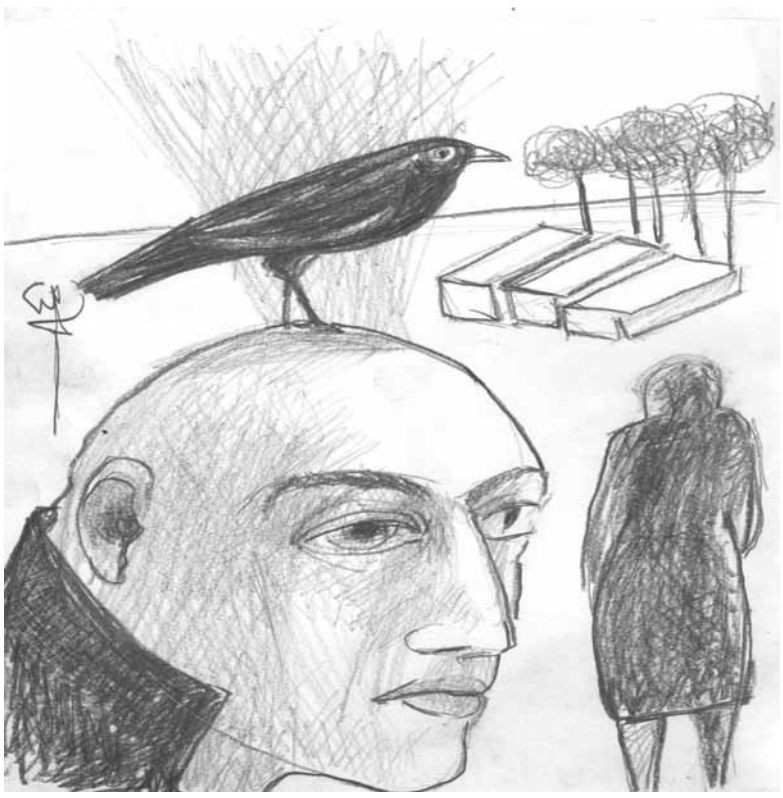

تعترف «السيدة نون» بولع «الشاعر ألف» بها. وتستظل من حرِّ جوارحها تجاهه، بالإصغاء إلى كلماته..

يتهمها «الشاعر ألف» بالتواطؤ مع ولعه بها، وتبرّئه هي من جريرة عشقه لها، عن سابق شوق وهيام.

من النعمة والنقمة على «السيدة نون». أن «الشاعر ألف» لا يجيد السكوت على تظلّم قلبه، ولا النوم على اضطرام حبه..

ومن النعمة والنقمة على «الشاعر ألف». أن عينيّ «نون»، تشيان له، بكل ما يحول دونه خفرها، ويمسك عنه لسانها، من ذكاء مشاعرها وغباء قيودها.

**

خطر للجلنار نهاراً أن يتعرّف إلى صورة رقّته ولون خجله، ونظر في عيني جدول دنف، يحفّ بساق شجرته، فرأى شفتي «نون»..

فكّر الكاكاو مرةً. أن يتذوق طعم بشرته وشكلها، فوصفوا له أن يلتقي «نون»..

وطلب أحد عشّاق «النعومة» ذات غرام وانسجام، صورةً لها. تسعفه في تحمّل فراقها وتهدئة أشواقه، فتّشت النعومة في جيوب ألطافها، فلمّا لم تحظَ بما تريد، أحالته على لثغة «نون».

***

يزعم الشاعر «ألف» أن الشاعر اللاتيني «مانويل موري» قد انتحل لنفسه، المقطع التالي، من أحد قصائده بالسيدة «نون»:

لأنها تمتلك زوجاً
وهي عبدة له
لا يمكنها أن تكون لي
لأجل ذلك أنا سعيد
بما أمتلك من حبّ
ولكن العَالَم قال:
ذلك هو الحب
مع أن كل فرحي قايضته بالألم.

****

وتدّعي السيدة «نـون» أنها ليست مسؤولة، عمّا قد تتسبب به القراءات المختلفة، لنصوص جسدها ورسائل عينيها، من إلهام وإبهام وأوهام. تُلقى أولاً وأخيراً، على عواتق قارئيها!

*****

كان ابن الشاعر «ألـف» في رحلة مدرسية على الشاطئ الأزرق، في مدينة «اللاذقية»، حين مرّ به أحد الدراويش لينبئه قائلاً: ستحمل لك الأيام المقبلة، أخاً غير شقيق.. يلثغ بحرف الجيم ويحفظ أشعار أبيك كاملة.. سيكون آية بالأخلاق والجمال..

سيحسّن أحوالكم..
ستسعدون به..
وسيكون لكم خير مخلص ومعين ومحبّ..

أن تكون أماً... أو لا تكون..

عفراء سلمان

الضباب جناحٌ يحنو على قمم الجبال المتلاصقة الأكتاف.. يضمها بحنان آسر، ويمسح عنها بريشاته الرّطبة غبار التعب.. برعم الضوء بدأ يتفتح شيئاً فشيئاً، الهواء يعبق بالحب والأمل، فيما أسرج الليل فرس الوقت، أطفأ قناديل نجومه وعدا إلى بلاد بعيدة..

كانت سنا قد استيقظت منذ خيوط الفجر الأولى.. تجلس قرب النافذة ترقب الشفق الذي يخضب مفرق النهار الوليد.. كتفاها تتحركان باطراد مع أنفاسها المتسارعة اللاهثة، فتهتزّ خصلات شعرها الذهبي المنساب على كتفيها كشلال ضياء.. بطنها يتكوّر على جنين تتسارع حركته بين الفينة والأخرى..

في حديقة المنزل.. يتمشى زاهي قلقاً... أعقاب السجائر تعلن احتدام اضطرابه، فيما تتزاحم في رأسه الأفكار كأمواج صاخبة.. موجة تلقيه على شاطئ الرجاء، وأخرى تقذفه ليلتهمه بحر الخوف مزبد الثغر..

استيقاظها المبكر أربكه وشحن شرايينه بالقلق، لم يصدّقها حين حاولت طمأنته قائلة بأن الأمر لا يتعدى تسرعاً خفيفاً في ضربات القلب..

يتأمّل الأشجار التي ترفع أكفها نحو السماء.. الكثير منها تنوء بحمل ثمارها، ولوهلة خُيِّلَ إليه أنه تذكر كابوساً رآه منذ مدة، «شجرة مثقلة بثمرة وحيدة تجرها نحو الأرض، الشجرة تقاوم لكنها ضعيفة، تقاوم وتقاوم..» يرتجف كطائر مبتل في عاصفة... يزيح بقية الحلم من ذهنه، إنه متعب وخائف، لم تغمض له عين طوال الليلة المنصرمة.. توسّل إليها أن تتراجع عن قرارها، فلم تأبه، فموقفها صارم، لا تبديل فيه:«أن تكون أماً أولا تكون»..

يزفر بلوعة بحر وحرقة بركان.. «لا تكون « هذه استفزت الدمع من مآقيه، حاول أن يكتم عبراته عند الطبيب الذي أخبرهما بأن الوضع حرج وخطير، فلم يستطع.. هي كذلك لم تستطع التخلي عن طفل يتحرك في أحشائها.. طفل تحلم به منذ قرون.. تلقت العلاج في المشفى لعدة أيام، وها هي الآن تحاول التغلب على مرضها بالأمل والمكابرة. تفيض عيناه، الدموع بحر حارق الموج له امتداد لا مرئي في جزيئات الهواء، الموجات تتدفق لتصل شاطئ مقلتين معلقتين قرب النافذة.

***

تبحر بها الثواني في نهر الذكريات المرير.. في حملها الأول تعرضت للانسمام الحملي.. ارتفاع حاد في ضغط الدم أدى بها إلى ولادة مبكرة.. لم يسعف الحظ الخديج ذا الشهور السبع، فتوفي لعدم اكتمال نموه.. تتساقط الدموع من عينيها.. كانت قد اختارت له ثياب صبي، زرقاءَ بلون بحر دافئ وبيضاء بلون جناح ملائكي.. لكن روحه فضلت أن ترتدي أجنحة حقيقية، لتحلق عالياً في اليم الأزرق اللامتناهي المائج بين جهات أربع..

ترشف شيئاً من عصير البرتقال.. «إنها حتماً لا تستطيع أن تقتل طفلها لتعيش..».

رغبة الأمومة تشتعل في قلبها كنار مقدسة، تدفئ فؤادها وتبرد غليل الروح العطشى إلى طفل تضمه وتداعبه... طفل لبشرته نعومة بتلات الزهر، ولوجهه بهجة الصبح وابتسام الورد ورقة الندى..

في حملها الثاني تكرر لديها المرض، لكن باكراً.. الوذمات الشديدة، ارتفاع الضغط وحالتها التي ساءت فجأة أدت بها إلى الإسقاط..

كانت قد اختارت للطفل المنتظر ثياباً بلون أزهار الربيع.. فغادرها كبرعم قطفه الردى قبل أن يتفتح..

«لا لن تأبه لتحذيرات الأطباء».. تهز رأسها بالنفي.. قطعت سبعة شهور من طريق مرهق.. وحالتها التي تسوء لا تدفعها إلى اليأس بل تشحذ تصميمها وإرادتها.. تريد الطفل أو.. ليتخطفهما الموت سوية.. لن تتخلى عن حلم الأمومة الجميل مطلقاً..

بدأت الشمس بالشروق. جميلة مكابرة.. «لكنها تحمل في داخلها حرائق لا تنطفئ..» تتمتم في نفسها:«الشمس أمّ حانية رؤوم.. الشمس أنثى تـُولّدُ أمّاً كل فجر.. وينتهي بها المطاف أمّاً كل غروب.. في أشعتها حياة وضياء، حنان واستمرار.. ومن أطراف أناملها يتفجر الضوء الذي يسري في أفئدة الموجات، فتلد السحاب، وفي عروق الشجر فيخضل الورق ويثمر الثمر.. وفي أعماق الجليد فتتفجر الينابيع.. ضوؤها يتجلى في الحقول أزهاراً وسنابل، وفي الجبال غابات تعانق الغيم والصخر، وفي العيون نوراً يعطي للوجود كنهه..

ماذا لو فضلت الشمس حجب عطائها؟ ستتوحد عندها الألوان بلون قاتم أسود، ستسود الظّلمة، وستغدو الحياة «لا حياة».. فلم لا تتحمل هي كما الشمس معاناتها؟»

يلج زاهي إلى الداخل فيقطع سلسلة أفكارها، تهرب سنا من عينيه اللتين تورمتا من البكاء، وتدخل الغرفة المجاورة.. كلّ محاولات الأهل لثنيها عن «الحمل» ودفعها لإنهائه تحطّمت على درع عنادها.. أمومتها الدفينة تصرخ:لا.. روحها تمجّ طعم حياة لا تعرف طعم أمومة حقّة..

تحسّ ببعض التعب.. الضباب بدأ ينشر أمام عينيها جناحه.. أنفاسها تتسارع.. دقات قلبها تركض خلف حلم لتمنعه من الهرب.. تجلس بعد أن استخرجت ثياب الطفل من خزانة أعدتها له .. لم تنس أي شيء... كانت قد أعدت كذلك بذة جميلة بربطة عنق حمراء؛ هذا إن كان صبياً، وفستاناً أبيض مزيناً بالورود الملونة، فيما إذا ولدت أنثى..

تضمّ الثياب.. «لا لن تدع اليأس يتغلب عليها.. لن تستسلم».. تقبّل القطع الصغيرة، فتشعر بشيء من التحسن رغم ازدياد كثافة الضباب أمامها.. تبتلع حبة لخفض الضغط هي الثانية منذ الفجر.. يهرع زاهي دون أن تناديه. قلبه هو من سمع استغاثتها. ينقلها إلى السيارة بسرعة. تضع يدها على بطنها فيما يتسارع نبضها وأنفاسها. تسمع طبولاً تقرع في أذنيها لكنها تحاول أن تصغي لصراخ طفل يلج الحياة.. تستجمع كل ما تبقى من قوتها..» لن تجهض.. إما أن تكون أماً أو لا تكون.. «

المسافة تتكسر على زجاج السيارة المسرعة.. تتصبب الثواني عرقاً وهي تعدو لاهثة خلف الكتلة المعدنية المندفعة بسرعة هائلة من كفّة احتمال باتجاه أخرى صعبة المنال.. فيبتلّ الزجاج بقطرات دامعة..

تنظر باتجاه زاهي... لم تعد قادرة على تمييزه بوضوح.. لكنها تلمح شفتيه تتحركان.. صوته امّحى في خضمّ الأمواج المتلاحقة التي أخذت تضرب أذنيها، قلبها وعينيها.. لكنها كانت تعرف أنه يدعو..

وفجأة.. تتوضح الرؤيا أمامها، وينقشع كل الضباب.. تصرخ «زاهي توقف « ..

وعلى مفترق الطّريق المؤدي إلى المشفى، يضغط على الفرامل بقوة.. ينظر إليها.. وكأنه يتذكر بقية الحلم المريع السابق: «الشجرة تهوي إلى الأرض حيث انفتحت حفرة ابتلعتها وثمرتها سوية» يشعر بأنّ روحه ترتعش كندفة ثلج في عاصفة.. ويحس بقلبه يتفتت كموجة مزّقتها سيوف الريح.. تسند سنا رأسها إلى الوراء وتلفظ كلمتين أخيرتين من ثغر شاحب كنوار على أبواب الخريف:

«نحبك يازاهي «.

«سنا.. أرجوك لا..» اختنق بعبراته..

الجنين الذي اعتاد أن يغفو تحت قلب أمه بدأ يتلوى في بطنها، كأنما أرعبته الدقات المتلاحقة الراجفة.. يتألّم كما أمّه، فيتسرّع نبضه... ومإإن سكن فؤادها حتى تكوّر تحته ونام...

عيناها تتسمّران على شيء في الخارج..

ينظر زاهي.. عصفورةٌ ملوّنة تطير فجأة من فوق الغصن، وقد أرعبها الصوت الذي أثاره توقف السيارة العنيف.. عصفور صغير يطير معها، وكلما هوى للسقوط أسندته بمنقارها أو بمخلبها.. يحلّقان بعيداً بعيداً... لكن سوية..

«سناااا» يبتلّ محيّا الصباح بالدموع، وقد سمع صوت زاهي المدوّي الذي ارتعدت له خواصر الطريق والسفح المنحدر كهاوية.. فتخضلّ كل الأشجار بالندى..

***

يذكر أهل القرية أن قطرات الطلّ الدامعة لم تجف عن أوراق شجرة الزيتون التي دفنت تحتها «سنا».. منهم من يقسم أنه قد رأى طيف امرأة في الثلاثين من عمرها تهدهد طفلها الرضيع قرب مثوى الشابة الطيّبة..

كان للأزهار التي غطت القبر ألوان جذابة آسرة.. ولشذاها تأثير شجي مميز..

وحده زاهي من كان يعتقد أن ثياب الطفل التي وضعها مع زوجه وجنينها في القبر.. قد نبتت لتدثّرهما برداء معطر طاهر.. وأنّ الشجرة التي دفنت وثمرتها قد نمت هناك.. في السماء..

الشيخ والبحر

ـ صراع أزلي ـ

حسن بعيتي

في رحلة الصيد الأخيرة..
بعدما صارعت موج البحر أياماً..
ظفرت بحصتي الكبرى
شعرت بنشوةٍ....
وأنا أشد فريستي بصعوبةٍ نحوي
أخمن أنها كانت ستغلبني...
وتنجو.. لو رأت شيخوختي..
لكنها من حسن حظي لا تراني
كان طعماً رائعاً..
أعدته بعنايةٍ من أجلها
ولأنها أقوى وأكبر من جميع خصومها
انتصرت.. نالت حتفها
بالرغم من آلامها.. كانت تحدد وجهتي
وتشدني غرباً..
فيمضي الزورق المشلول خلف جموحها
كانت مفارقة إذاً..
أن القتيل يجر قاتله..
وحلق طائرٌ فوق المكان..
محدقاً بالماء.. ثم اصطاد حصته الصغيرة
في غياب الآخرين
..وطار مبتعداً
وراح الموج يعلو.. ثم يعلو
والنهار يغيب في عمق المدى.
شيئاً فشيئاً.. كنت أشعر أنها تعبت قليلاً
ثم عاودت الكفاح..
وكلما اشتدت عزيمتها.. شددت الخيط أكثر
واتكأت على بقايا قوتي...
ليلٌ طويلٌ مزّ..
كان نزيفها يكفي
ليستدعي المزيد من الخصوم مع الصباح
وهكذا...
دافعت حتى الموت عنها..
كلما انقضت وحوش البحر تنهشها..
استفزت قوتي.. فصبرت أكثر
لم أكن وحدي أحس بأنها
«لي دون غيري»
لم أكن وحدي..
ويبدو أن صيد اليوم أكبر
ـ ربما من حصتي
أو ربما من قدرتي..
أبحرت أياماً..
ولم يتبق حين وصلت
إلا الهيكل العظمي من صيدي الثمين
كأنني أدركت لحظتها..
حقيقة ما جنيت من الحياة
ورحلت العمر الطويلة
رغم هذا...
....
نمت منتشياً بآلامي.. وأحلامي
وكان البحر يفهمني..
ويدرك أنني ما عدت مهتماً..
فلم أبحر..
على شيخوختي
إلا لأثبت للحياة جدارتي بصهيل فتنتها
ولم أبحر..
على شيخوختي
إلا لأثبت أنني
مازلت صياداً قوياً.

معطف كاثلين[1] غير المخيط

للكاتب الايرلندي شون أوكيسي

ترجمة : الدكتور فؤاد عبد المطلب

ظل دائماً معطف الوحدة غير المخيط لكاثلين ضيقاً قليلاً على تلك الفتاة الايرلندية التي بقيت عائلتها تحتفظ به لمدة طويلة، فقد جعلت التقاليد منه شيئاً مقدساً حتى إن كاثلين لم تكن سعيدة تماماً عندما ترميه جانباً، وإن كانت لا تبدو سعيدة على الإطلاق عندما ترتديه، فضيق مقاسه يمنع جسدها من الحركة بحرية، وضغط الدم الذاهب إلى رأسها يجعل أية فكرة أصيلة ومستقلة مستحيلة.

وبالفعل فإن ارتداء هذا المعطف كان يعيق نشاط كاثلين الطبيعي، فلم تعد قادرة أن تتمشى على امتداد نهر شانون، وأن تتجول في وادي إمال الضيق والموحش، كما يحرمها من مراقبة خفقان أمواج البحر ودوي رياح كونوت(2) الصارخة بأغنيات الحرية العاصفة. ولم يعد باستطاعة كاثلين أن تتسلق منحدرات هضبة الكهف الخطرة، كما تعودت أن تفعل في لحظات الجنون التي كانت تعتريها، رحلات غالباً ما كانت تعود منها متعبة وملطخة بالدماء، لتتلقى توبيخات من أقاربها الكبار الأكثر وعياً، وعقوبة مناسبة من وصيتها الطيبة التي تقلق عليها، هذه الوصية التي صنعت مصير والدتها في الماضي وهي حريصة على أن تتابع صنيعها نفسه مع الابنة في المستقبل.

أما الأبناء الأكثر رشداً فهم مقتنعون بالجمال المنظم للحديقة التي جهزها اتحاد كيليكني النقابي من أجل تسليتها، هذه الحديقة التي سمدها جيداً اتحاد كاسلري، وبنى أسوارها القوية الحزب البرلماني الزراعي الذي كان متحمساً للحفاظ على التناسق الأصلي للحديقة، إضافة إلى أن رئيس البساتنة في الحزب عندما حاول أن يعدل المنظر ويجعله فسيحاً قد رُجم بالحجارة ودُفن في قبر عميق يُدعى غلاسنيفن.

لم تكن كاثلين الصغيرة المسكينة لتلبس الرداء بإرادتها، فقد كبر جسمها على المعطف، وغدا جسدها القوي يُقاوم ضغطه باستمرار، إلا أن العائلة الايرلندية كلها رأت ارتداءها المعطف أمراً ضرورياً، وذلك بأن يأتي جميع أفراد العائلة وحتى أبناء عمومتها وعلى اختلاف درجات قرابتهم، ثم يمسكون بهذه الفتاة الايرلندية ويلبسونها معطف الوحدة الضيق عنوة وعلى الرغم من مقاومتها لهم.

على أية حال، فإن بعض أقربائها الشبان باتوا يدركون أحياناً خطر الرداء الضيق على أعضاء كاثلين النامية، ولذلك كانوا يتمردون على التقاليد العائلية كلها، محاولين مساعدة كاثلين في جهودها كي تصبح حرة، لكن هذا كان يؤدي إلى شجار وكلمات غاضبة بين المؤيدين والمعارضين، وإن كان القسم الأكبر من العائلة ينجح في فرض المعطف على كاثلين، وبعدها تنقسم العائلة على نفسها إلى أولئك المصممين على فرض المعطف على كاثلين وأولئك العازمين على خلعه عنها. ولا شك في أن آثار ذلك ستبدو واضحة على المعطف الصغير المسكين الذي كانت تمزقه أيدي من يودون إبقاءه تارة، وتشقه أيدي من يريدون نزعه تارة ثانية.

إن لبس الرداء شرٌّ دائماً، ويصبح شرّاً لا بد منه فقط عندما يتمزق لمنع قوة خارجية من إلباس الرداء لكاثلين، وحينها يُربط الرداء بشرائط حديدية تجعل قلبها يخرج من بين ضلوعها، وعلى الرغم من أن المعطف عتيق الطراز ومقاسه غير مناسب، فهو يتحمل كل الأحداث، فعليه آثار سنين «98» و «67» و «16»«3» ممزوجة ببصمات أصابع تشارلز ستيوارت بارنل(4).

والآن، أُجبرت كاثلين على ارتداء معطف الحرية مرّة ثانية ولفترة محدودة على الأقل. وكان للعائلة كلها يدٌ فيها هذه المرّة، وحتى لا يقع أي خطأ استخدمت ثلاثة آلاف زر لزرّ المعطف. وفي الواقع، لم تعد رؤية المعطف ممكنة بسبب الأزرار.

كانت الفتاة الايرلندية تجلس في حديقتها الصغيرة منذ الصباح وحتى الليل، ومن الليل حتى الصباح. وقبل ذلك بوقت قصير كان منظر الحديقة مرعباً يملؤها الخراب الفوضى. فقد انهارت جدرانها، ووطئ جمع غفير من الرجال نباتاتها وأزهارها فتناثرت، كما انتشرت هنا وهناك برك صغيرة من الدم، إلا أن هذه الآثار قد أُزيلت الآن، وبدت الحديقة أكثر أناقة وجدّةً وحيوية، وأكبر مما كانت قبل ذلك.

وباتجاه مكان إقامتها، يقع شارع القلعة الجميل الذي تصطف على طرفيه أشجار البلوط البريطانية والدردار والزّان. تلك التي قام جانحون بإفساد بعضٍ منها، فحفروا عليها عبارات غير لائقة مثل «توم كلارك – بيرس»، «ماكديرموت – مستقل – كونولي»، «كيفن باري – ماكسويني»(5)، لكنّ البوليس كان قد أبعد هؤلاء المخربين وسمح لهم بكتابة مثل هذه الأشياء على رمال الشاطئ، لأنها ستزول بسرعة ولا تبقى كتشويهات كما هو الحال على الشجر. وفي الزوايا الصغيرة من الطريق يقوم البساتنة بزراعة أشجار الخوخ الصغيرة حتى ينعموا بها مستقبلاً.

ويظهر المكان دائماً مفعماً بالنشاط، يتدفق الناس إليه للتنزه هنا وهناك، وهم بين مسرور يهمس في أذن صاحبه: كل شيء في الحديقة يبدو جميلاً، وآخر يحتفظ بصمت محيّر، وثالث يصيح قائلاً: أنتم تزرعون الآن بفرح، لكنني أقول لكم، أنكم ستجنون بأسى. وفوق هذه الغمغمات المختلفة كلها تُسمع أصوات تسأل كاثلين عن السبب الذي يحتم عليها ارتداء معطفها دائماً وأبداً، سواء وحده أم فوق أي رداء آخر يُشترى لها – رمز «الالتحام الأخوي الشامل لشعبنا»، رمز «وحدة الهدف» عندهم، إيمانهم بأنفسهم وببعضهم، وبمفاهيمهم وببلدهم. وأحياناً يمر بها رجل مسرع ويهمس في أذنها: إنك تكبرين على هذا المعطف يا كاثلين، لكنه لا بد أن يتفضفض. ويقول لها رجل آخر: ستشعرين بارتياح أكبر عندما تحصلين على قميصك الداخلي الجديد من داوننغ ستريت(6) المصنوع من قماش النسوك(7)، بقصّته الكندية المزركشة المغربية، وما أرجوه من السماء أن لا يؤدي ذلك إلى تمزق معطفك الصغير، ولكن بالتأكيد، إن لم تكوني حرّة، فإنك ستشعرين بالحرية، وحتى إن لم تشعري بالحرّية، فإنك ستكونين حرّة، لذلك فالأمور بعضها مثل بعض.

وبينما هي في حالة وجوم غامض وكئيب، يمر بها رجل قصير القامة يبدو عليه الانهماك في أموره الشخصية، وقبل أن يتجاوزها يقف لينظر إلى هذه الشخصية المتأملة فيربت على ذلك الرأس الداكن العزيز ويقول: تشجعي يا ابنتي، لقد هززت سريرك عندما كنت طفلة، وسأواريك الثرى بنفسي إن احتاج الأمر. وبالفعل ليس شيئاً جميلاً أن يُقال هذا الكلام لفتاة صغيرة مثلك مفعمة بالحياة والقوة الكامنة.

غاب نور الغسق، وازدادت السماء ظلاماً، وتلألأ نجم في السماء في طرف الأفق البعيد بلمعانٍ فضّي رائع. ورمقت كاثلين النجوم واحدة تلو الأخرى وهي تضفي على السماء معاني رموزها في الاعتدال والهدوء والحكمة الكونية. راقبتهم بعينين يكمن في عمقيهما وظلالهما وضوءيهما سخرية شين المغرور، ومثابرة تون، وحماسة إيميه، واتقاد مايكل، وصبر ستيفنز، وقوة رانل، وتصميم كلارك، ومرح كالديرموت، والحمية اللطيفة لبيرس، وكبر عمر كوشولين، وشباب كيفن باري.

أخذت معالم حدود الحديقة تضمحل وتغيب، وفي النهاية اختفت. وغدا حديث الناس غمغمة هادئة مثل طنين نحلة عابرة، وتتخذ إيقاعاً صوتياً فاتناً جداً، يجذب وعي كاثلين الداخلي حتى أن شفتيها أخذتا تترنمان في إيقاع متناغم: لست حرّة فقط، ولكن غيليّة(8) أيضاً، لست مجرد غيليّة، لكن حرّة أيضاً. ماذا يفيد أمّة أن تجني عار إمبراطورية وتخسر روحها؟ لست غيليّة فحسب، ولكنني حرّة أيضاً – حرّة أيضاً – ماذا يفيد أمّة – ماذا يفيد أمّة – ماذا –.

ونامت كاثلين.

ببلاشت نا. هـ – ايرينا
29 آذار، 1922

(Endnotes)

1 **1- اسم أسطوري يجسد ايرلندا.**

2 **2- منطقة في ايرلندا، تشكل مع إلستر، ومونستر، ولينستر المناطق الرئيسة الربع.**

3 **3- تواريخ أحداث تحررية دامية.**

4 **4- زعيم وطني سياسي ايرلندي.**

5 **5- شخصيات سياسية ووطنية ايرلندية.**

6 **6- مقر رئاسة الوزراء البريطانية.**

7 **7- ضرب من الموصلين.**

8 **8- ايرلندية.**

البحار الخمسة

نبيه اسكندر الحسن

عزمت الرحيل على باخرة تمخر عباب البحر تلوح على صاريتها أطياف من البنود مخضلة بندى فجر ضبابي، تطل رؤوس أناس من النوافذ، يرتلون أغاني تسمع اللجة أصداءها، ترفرف لها أحلام عصافير بيارات البرتقال، ويعزف النورس لحنًا شرقيًا ليوقظ حمائم دمشق المدماة، كان البحر هادئًا كصدر كاعب يطلب الخصب، تبادر لذهني شروق نجم الأمل، كانت الشوارع تعج بأناس يجوبون أرجاءها كأسراب النحل، دنوت من القلعة، سألتها :

- ما الهدف؟.

- سنشعل المصابيح المطفأة، ونكسر الأبواب الموصدة، ونكحل العيون المتعبة، رأفة في البطون الخاوية.

قدم هدية متواضعة :

- فلتحطم قيودك أيها الطفل.

حولت بصري إلى الأمواج المتكسرة، صمت كصمت الأجداث، تأملت وجه البحر بدا كنجمة مضيئة في فجر مغسول بندى بيارات الزيتون، فقلت لذاتي: «عظيم أنت»!.

ندهت ذاتي في لجة اليم، شعرت بالدفء، حدثتها بهمس، صفعتني، ارتعشت قليلاً، تأتي لمسمعي صراخ من الأعماق :

- هذا تلاطم الأمواج.

- حسنًا، لا بأس.

- وأصوات الكائنات الصغيرة المهددة بالانقراض.

ضحكت من ذاتي :

- هذه فلسفة.

دخل صديقي عاشق بردى يترقرق نور في عينيه، وقفت إجلالاً أمام رقصاته مع أمواج بدت كالحراب، أدرك ما يدور في خلدي :

- فيم العجلة يا صديقي؟!

هبت ريح مكبرته، ريح النكبة غدارة تأتي في المساء تصفع وجه البحار، انكفأت إلى صديقي كان يحمل أنبل إرث من الحقيقة، تولته الدهشة:

- كن عاشقًا، فبسمة العشق ضالعة بالتحريض لمعنى الصمود.

- كيف؟..

- ها هن الأمهات يرقصن في أعراس أبنائهن..

- حسنا، لا بأس..

تراتيلهن تسمع أصداؤها في الكهوف المظلمة، يصرخن بأبنائهن :

- دعوا التلل الحديدية تحطم الأضلاع فداءً لقاسيون.

تذكرت المسيح، والحسين، والشهداء الخنسائيين، وكل من استشهد من أجل الإنسان، عفوًا إلا القتلة، فتراءى لنظري طيف امرأة في حالة المخاض تستظل في ظل الزيتون، تصرخ مع الطلق :

- يا روعة الفداء، يا فعل الإنسان للإنسان، يا مرمى تؤكدها الزنود السمراء، لا، وألف لا، لتجار الحروب وإرهابهم، مخر صديقي عرض البحر بجانبه كل الأطيار، دوى نعيب الغربان في الظلمة، هزّ صديقي رأسه :

- كنت أبكي حين أصفع، ولم أستطع رد الصفعة بالمثل... لكني أقلعت عن عادت البكاء.

- كيف ؟..

- كنت طفلا وكان مسوّغاً بكائي.

- والآن ؟..

- بوسعي أن أعمد ثأري بالدم.

زمجر البحر :

- أين كنت ؟.

لم يرد على السؤال، واشرأب يدندن بصوت فيه رجولة ليسمع العالم أن اللؤلؤة لم تعد سجينة، فبريقها يتطاول لتمخر الأبحر الخمسة.

رحلة في الذاكرة

أحمد جميل الحسن

نوعٌ من التشويش يتركه محرك الحافلة، كل يوم في أثناء شروده، تكرار لا يمله، يجلس قرب النافذة، يسند رأسه على إطارها الحديدي ويذهب في سرحانه :

عندما أتعهد مبنىً كبيراً سأجلب عدداً كبيراً من المعلمين والعمال وأشغِّلهم بأجرٍ يومي، وسأكسب الكثير، سأشتري أرضاً وأبني بيتاً على أطراف دمشق، له حديقة صغيرة محاطة بالأشجار، وفي وسط الحديقة مسبح صغير للعائلة، وأحواض لكل أنواع الورود، وأسقفُ السطح بـ (الأترنيك) الملون الجميل، تماماً (كالفيلة)، سيستمتع الصغار والكبار، وأجعل من زوجتي سيدة مجتمع راقية يحترمها الجميع ولن...

تقف الحافلة فجأة لتسرقه من أحلامه، ويسمع صوت شتائم موجهة إلى سائق السيارة التي أمامه ليوقفه دون إنذار.

اجتازت الحافلة الجبل المحاذي (للمزة)، السماء تمطر رذاذاً خفيفاً، فينساب على اللوح البلوري للنافذة كدمعة جمانة التي فقدت شقيقها في بيروت.

سالت دموعها على خديها من دون أن يصدر عنها أي صوت، فقد استنفدت لوعتها وصرخات الحنين، الذي لاذ في الحنايا مختبئاً، يومها أسندت رأسها على كتفه، شعر لأول مرة في حياته بدفء غريب لم يعهده من قبل، وحنين جارف إلى هذا الرأس المرتمي عليه بخصلاته المبعثرة بفزع وخوف.

تعرّف إليه في مشفى الجامعة، كانا مصابين قبل خمس سنوات، وعرف والدته عندما أتت لزيارته: ياحسرتي على شبابنا يموتون ويجرحون ولا يجدون أماً تندبهم أو تواسيهم، أنت مثل ابني، عندما تخرج بالسلامة زرنا يا بني.

يستمر الرذاذ بالتساقط، تحف الأشجار الطويلة الشامخة جانبي الشارع العريض، والسيارات تتسابق على سطحه الأملس.

حمل عكازه وسار إلى مخيم شاتيلا؛ حيث بيت حسن، مشى في زقاق تخترقه قناة تجري فيها المياه الآسنة باعثة روائح ناخزة كريهة شبيهة بروائح فضلات البشر، طرق الباب فتحت له فتاة لم تتجاوز السادسة عشرة، صوت امرأة بالداخل : من الطارق ياجمانة ؟

: أنا جمال يا خالتي.

: تفضل يا بني (يا مِيت مرحبا).

نسمةٌ باردة تلفح وجهه إثر فتح النافذة سنتمترين لا أكثر، تجلس صبية في سيارة فاخرة تعبث بشعرها الأشقر، ومعطف مطوي من الفراء تضعه على حِجرها، تأملها جيداً، نظر إلى الأفق البعيد.

أردتِ لحظةَ أمانٍ في ظل فارسٍ يحمل بارودتَهُ.

كنتُ أهرب منْ خوفي إلى جَديتك، لأشعر بالانسانية والحنان، هارباً من صوت الدمار الأسود والجداول الحمراء المستغيثة والعيون الفزعة المتوسلة.

جِسر، أحد الأخوة يريد أن ينزل على الجسر، استفاق على صوت السائق، نهض من مقعده الضيق، أفسح له الراكب الذي بجانبه، نزل فوق الكتلة الاسمنتية الكبيرة التي تحمل إحدى طرفي الجسر، هاماً بهبوطها ليصل إلى الطرف الآخر من الشارع؛ حيث يمر السرفيس الذي سيقله إلى سبينة مكان إقامته.

وقف منتظراً، كانت الغيوم تتسابق وتتجمع، تبشر بأمطار ستتساقط قريباً، تمر الحافلات غاصة بالركاب؛ فهذا وقت الذروة كما يسميه سائقو الحافلات، تنزّى صوتٌ من ضجيج اليقظة محرضاً خمول ذاكرته:

- كيف الآن رجلك يا جمال؟

- تتعافى، نقلوني إلى قيادة الكتيبة حتى يلتئم الجرح تماماً.

- يقولون إن معلمكم أبا الهيثم جيد ليس كغيره.

- (يعني) لم أعرفه عن كثب حتى الآن، ولكن ليست هذه هي المشكلة، المشكلة عندي أنني تركت دراستي وأتيت مندفعاً لأقاتل الصهاينة، ولغاية الآن لم أطلق رصاصة واحدة تجاههم، حتى الجنوب لا أعرفه!!

دخلت جمانة تحمل الشاي، تتراقص جديلتها الطويلة على صدرها الوثاب، سرق نظرة سريعة لها، ابتسمت بخجل، وضعت الصينية وذهبت.

لا يكاد يخلو الشارع أمامه من حركة السير، تمر السيارات الصغيرة البيضاء مكتظة، يمسح عن رأسه القطرات العالقة المتناثرة.

تنظر إليه الصغيرة كل يوم عند عودته، حاملاً لها ما يرضيها، تضرب بيديها على جنبيها كطير يصفق بجناحيه منتشياً في صباحٍ ربيعي : « ثو ذبتلي معك بابا «.

دويُّ الانفجارات يصم الآذان، وتحجب سحب الدخان السوداء الرؤية عن العيون، تناهى إلى سمعه وسط الجلبة: الطائرات الاسرائيلية تقصف الفاكهاني. هُرِعَ من وسط المدينة حيث ساحة رياض الصلح بعد أن توقفت سينما « التياترو « عن العرض المستمر، وخرج منها المئات فزعين.

بدأت عملية الإنقاذ فور انتهاء الغارة، لاح له جسدٌ ممددٌ على الحمالة، بدا له أنه يعرفه، على وجهه بقع سوداء ممتزجة بالدماء، اقترب منه، حدق ملياً، ضرب بيده على رأسه، صحا من صدمته، تساءل : من أتى به إلى هنا ليموت؟!

انتهت عملية الانقاذ، أشعل لفافةً، لم يعرف كيف ينفث دخانها، يمم شطر مخيم شاتيلا.

دمعةٌ سالت على خده، مسحها ونظرات الناس ترمقه مستفسرة في أثناء انشغالها بترقب مرور الحافلات.

لو يفهمون حرقة دموعي واشتعال ذاكرتي، لكان من السهل عليَّ البوح بمكنونات صدري المثقل بالأحزان المتواترة.

- حسن مات « الله يرضى عليه ويرحمه « وأنت مكانه يا بني، نصحته عام (76) بأن نهاجر إلى السويد عند اخوتي، لكنه رفض، هذا بيتك يا جمال تستطيع أن تأتي في أي وقت تشاء، فقد كان يحبك كثيراً.

أخوه (محمد) فقدته بالـ (75)، قُتل في الدامور، وهذا أيضاً أشارت إلى صورة معلقة على الجدار مؤطرة بوشاح أسود لرجل في العقد الرابع من عمره : قتل في طرابلس في الـ (73)، بوجوده لم يجرؤ أحد منهما على ترك المدرسة، ولكن بعد وفاته تركاها وكلٌّ تطوع في منظمة.

نظر إلى جمانة وجدها غارقة في حزنها، رفعت رأسها قليلاً، نظرت إليه ثم أخفضته لتعود إلى طقس الأسى المألوف لديها.

يرتديني أمامكِ صمتٌ مخيف، تراودني نفسي لأحدق في عينيكِ أبحث عن بريق العطاء، فيثنيني شرودكِ وحيرتكِ، فأبكي كغريب في واحة السكون البعيدة.

صرخ السائق مناديًا: سبينة (فاضي) تسابق الركاب اليه، ولج الحافلة وأسلم نفسه للمقعد بجانب النافذة.

- لماذا لم تأت إلى الغداء يا بني ؟

- قدمت زوجة أبو الهيثم من أثينا، ذهبتُ مع السائق وأحضرناها من المطار، فقد جلبت معها حقائب كثيرة.

- غضبت جمانة كثيراً، ولم تتناول الغداء الذي أعدته لك بيديها.

ارتبكت، حاولت إشغال نفسها بترتيب أكواب الشاي.

في ارتباك رموشك عاتبتُ نفسي، وأنبتهُا، ولذتُ إلى حنينكِ فوجدتني أسكن فيه، واستيقظت أشواقي في خجل البوح وتعثر الحياة.

أحبك يا جمانة، قالها بشغف وتوق إلى ضمها ليشبع نهم إحساسه، ارتجفت شفتاها لم تنطق بحرف، ولكنها قالت له كلَّ شيء.

عرف وقتها أن الحياة تكمنُ هنا في مرافئ عينيها، وأن سماء حيفها تظللُها.

همت بالذهاب، التقط يدها، حدق بها مليًا؛ القت برأسها على كتفه، ضمها بحرارة.

نزلني كازية، توقفت الحافلة، هبط الراكب ثم تابعت سيرها، سيارة شحن كبيرة تنفث دخاناً كثيفاً من العادم الكبير، خفف السائق سرعته حتى تجاوزته بمسافة طويلة، ثم تابع سيره كالمعتاد.

أعمدة ضخمة من الدخان تنسل إلى الأعلى من داخل اللهب، تتداخل في الفضاء لتحجب السماء الزرقاء عن بيروت التي تتلقى القذائف من الجهات الخمس المحيطة بها.

يا الله، هذا الحصار الدامي يوحد الجميع.

تسلل ليلاً في سكون الهدوء المسلوب إلى مخيم شاتيلا، أخذ معه علبة لحم بقر وربطة خبز وكيساً صغيراً من الزيتون الأخضر وقليلاً من السكر والشاي.

قرع الباب، التصقت بأمها، نمَّ صوت مرتجف من الوالدة : من الطارق ؟

الدم والدمار والفراق، أصبح كلُّ شيء اعتيادياً ومألوفاً إلا الأمان.

هرعت ملهوفة فتحت الباب، ناولها الأغراض وهم بالعودة.

همست : ابق قليلاً، سنابل حرماني حنت إلى مناجل لقائك.

تساوى الموت مع الحياة، تلاشت لوعة الفراق، وبردت حرارة اللقاء، وداع المواكب إلى رحلتها الأخيرة، ومناظر الأجساد المشوهة، وكان الكل يودع الكل، لا فرق أبداً...

هذه السكة يا أختي؛ هنا أول سبينة، انزلي، نهضت امرأةٌ ترتدي ثوباً طويلاً وفضفاضاً تضع على رأسها عصبةً سوداء، ترسم أخاديد الزمن على وجهها، أسلمت نفسها إلى الشارع بنظراتها البائسة، سارت الحافلة من جديد متابعةً طريقها.

ملصقات لصور شبان على الجدران، استشهد في أثناء الغارة الاسرائيلية على البقاع استشهد عام (95) خلال تأدية الواجب الوطني، عهداً للشهيد أن نسير على خطاه، ونثأر لشهدائنا الأبرار.

كانت غارقة بدمها عندما حملها، الاصابة قاتلة، تماماً تحت الثدي الأيسر في المكان نفسه الذي ذاق منه لأول مرة في حياته طعم الحُبّ، لم يعرف كيف حملها، بل كيف حملته قدماه، شعر وقتها بأن لا قيمة للحياة ولا مبرر لوجوده.

أرجوكِ موتي كما تشائين وابتعدي، ولكن اتركي قلبك لتختبئ روحي فيه، ابقي قليلاً ثم ارحلي، اكملي تعليمي كيف أشتم رائحة الخبز في جسد امرأة.

بكاها جهاراً عندما أودعها التراب، ألقى بنفسه على قبرها، ونشج بكلِّ ما تبقى في قلبه من شجون.

كتبتُ على شاهدة الموت سيرة حياتي، ألم تري احتراق فؤادي وشموخ لوعتي، نامي كما تشائين واتركيني أستنهضك في هيام الروح وعنفوان الذاكرة.

- على مهلك، مدارس الوكالة.

خرج من الحافلة، يمم شطر دكانِ أبي عارف، اشترى كيساً من رقائق البطاطا، غذَّ السير في طريقه إلى بيته، أدار المفتاح في القفل، فتح الباب، رأته جمانة الصغيرة، هللت بالفرحة، صفقت بيديها على جنبيها... : « بابا.. ثو ذبتلي معك «.

قصتان مترجمتان

شارل بودلير
ترجمة : فاروق الحميد

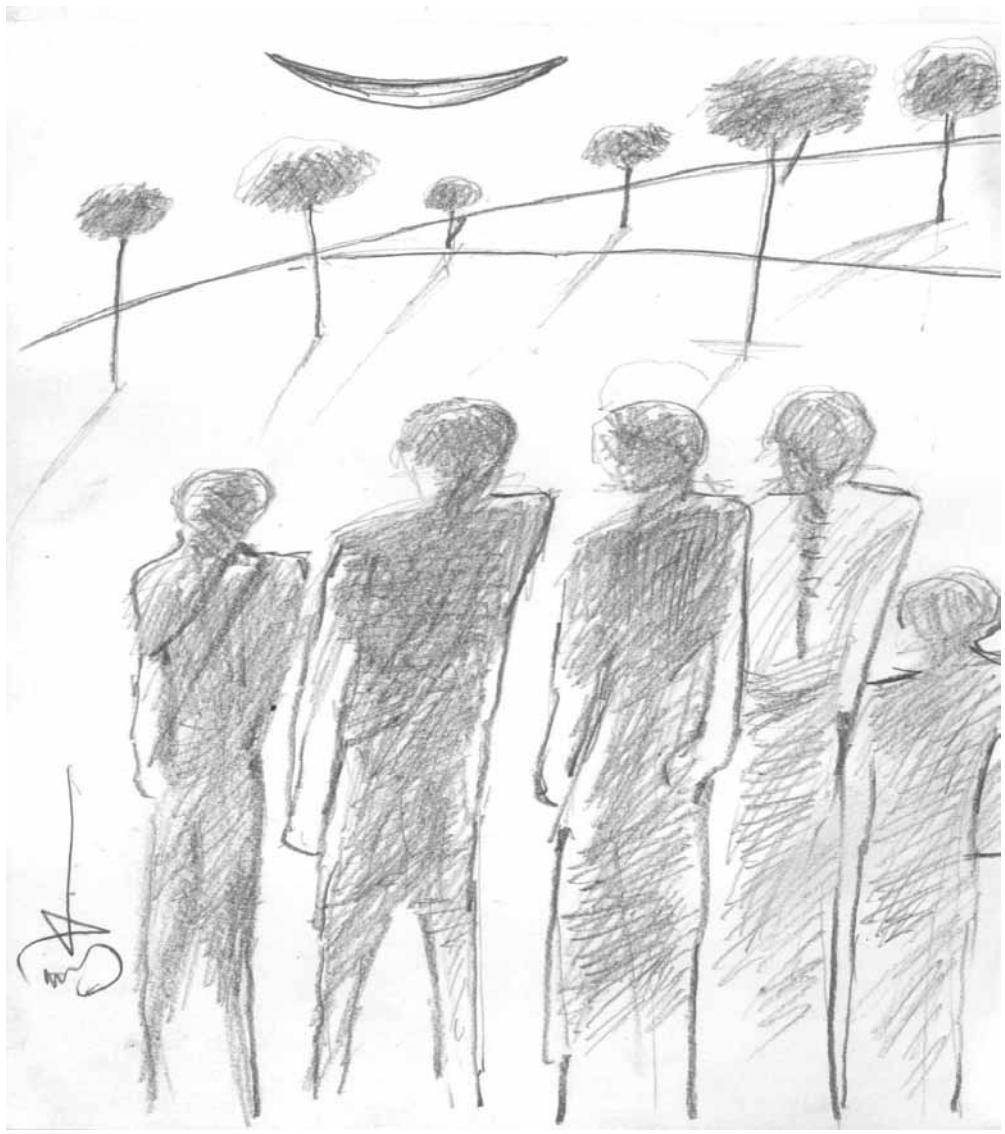

الحبل
إلى «إدوار مانيه»*..

الأوهام، يقول صاحبي، أكثر بكثير من علائق البشر مع بعضهم،
أو مع الأشياء التي تحيط بهم..

حين ينتهي مفعول الوهم في الذهن، فإنَّه يتلاشى تماماً
فنرى الأشياء كما هي في الواقع
ونحسُّ إحساساً معقَّداً
بين الندم ومرارته على ذاك الوهم
والشعور بالراحة والطمأنينة في الوضع الجديد الذي نحياه..
إذا وجدت ظاهرة واضحة
ظاهرة غثَّة مبتذلة
ذات طبيعة يستحيل معها الخطأ
فهي ظاهرة الحبّ الأمومي!
من الصعب تحمُّل الأمّ من دون الحبِّ الأموميِّ..
كالذي يتحمَّل النور من دون أن تنبعث منه الحرارة
أليس من العدل أن نعزو إلى حبِّ الأم لابنها جميع الأحداث والكلمات
استمعوا إذاً إلى هذه القصَّة القصيرة التي لعبتُ فيها دور المخدوع بالوهم الأكثر عفويَّة وصدقاً.
تعرفون أنَّ مهنتي كرسَّام تضطرني أن أدقِّق في وجوه الآخرين وأشكالهم..
وتعرفون المتعة التي نشعر بها
من هذه الملَكَة التي تصوِّر لنا الحياة أكثر نشاطاً وحيويَّة
وتعطي لها معنى أكبر مما يـراه البشر الآخرون
في الحيِّ المنـزوي الذي أسكنه
والـذي تفصل المنازل عن بعضها بعضاً مساحات خضراء بهيَّة المنظر
كنت أراقب دائماً ولداً نشيطاً مضطرماً
فاره القامة..
كنت أتخيَّله حاملاً الكمان في يده كمتشرِّد مرَّة
ومرة أراه قد وضع قوس الشوك على رأسه
بينما أرسمه في خيالي
وقد رفع إلى الصليب، والمسامير في يديه..
سألت أبويه برفق أن يتركا لي صغيرهما هذا
ووعدتهما أن أجعله يرتدي أفضل الملابس
ويأكل شهيَّ الطعام
ووعدتهما أيضاً أن أعطيه بعض المال
ولا عمل له سوى تنظيف ريش الرسم
وبعض الأعمال البسيطة التي تعوزني..
أليس من الأفضل له أن يعيش حياة كهذه
بعيداً عن كوخ الأبوَّة القذر ذاك؟!
بعد أن اغتسل الولد الصغير
بدا رائع الوجه..
وكانت الحياة التي قُدِّمت له تزيده جمالاً، ونضارة
فقط يجب أن أقول ههنا إن الولد كان يثير دهشتي أحياناً
وذلك حين أراه حزيناً بفظاعة

ولم أكن أعلم لماذا..
وكانت لديه عـادة غريبة أيضاً، وهي حبُّه الجارف للسكر والسوائل!
ذات يـوم انتبهت أنَّـه، على الـرغـم من تنبيهاتي له، قام بسرقة صغيرة
أنّبته من أجلها،
وهدَّدته أن أعيده إلى أبويه إذا تكرَّرت هذه الفعلة الشائنة
ثم خرجت إلى أعمالي
من دون أن أكون قد عنيت ما قلت!
تأخَّرت في العودة إلى منزلي
ولكنَّني ما أن فتحت الباب ودخلت
حتَّى وقعت عيناي على جثَّة الولد الفاره القامة
رفيق حياتي
مدلاَّة...
كان قد شنق نفسه!

كانت رجلاه تكادان أن تمسَّا الأرض
وكرسيٌّ ملقى بالقرب منه
إنَّه حتماً الكرسيُّ الذي استخدمه في تنفيذ جريمته تلك
كانت رأسه مائلة بشكل متشنِّج إلى كتفه
ووجهه قد تورّم قليلاً
بينما كانت عيناه مفتوحتين ذات نظرة مرعبة
خيِّلَ إلي أنَّه ما زال حيَّاً..
- إنَّ الشنق عملية ليست سهلة كما قد تتصوَّرون
شعرت بالغثيان والقرف
وأنا أحاول أن أنزله إلى الأرض
كان يجب أن أحيطه بكلتا ذراعيَّ
ومن ثمَّ أن أقطع الحبل الذي يتدلَّى منه
ولكنَّ هذا لم يكن كلّ شيء
إنَّ الخبيث الصغير استخدم خيطاً رفيعاً دخل لحم عنقه
وأصبح من العسير إخراجه
عليَّ الآن أن أستخدم مقصَّاً حادَّاً
وأن أبحث عن الخيط لتخليصه منه
أهملت أن أقول لكم إنَّني لدى رؤيتي الشاب الصغير
طلبت النجدة من الجيران الذين امتنعوا عن المساعدة
وذلك لعرف لدى الطبقة الراقية
وهو عدم التدخُّل في حالات كهذه
مع من شنق نفسه.. أعني!!
أخيراً جاء الطبيب
وقرَّر أنَّ الولد كان قد مات منذ ساعات عدَّة
فيما بعد، وعندما أردنا نزع لباسه عن جسمه من أجل تكفينه
كان من الصعوبة ثنيُّ أعضاء جثته
ممَّا اضطرَّنا إلى تمزيق ثيابه كي نستطيع نزعها...
نظر إليَّ مفتِّش الشرطة الذي استمع إلى أقوالي في هذه الحادثة المشؤومة، وقال بمكر:
- «إنَّه لأمر مبهم، ومشبوه»!

بلا شكٍّ، تلك عادة قد تعوَّدها مع الجميع
وفي كلِّ الحالات المماثلة
مع الأبرياء والمجرمين على السواء!
بقي عليَّ مهمة صعبة جداً
وهي أن أخبر والديه..
كانت خطاي تتسمَّر في مكانها
وكنت لا أجرؤ على التقدَّم في المشي نحو كوخهما البائس
أخيراً شجَّعت نفسي، ومشيت
لشدَّ ما كانت دهشتي لا توصف
حين رأيت الأمَّ بلا ملامح
كانت باردة، لا يمكن سبر أغوارها
لم تنطق بكلمة
لم تذرف دمعة واحدة
فقط كان الصمت الكابي يرتسم ـ كالعتمة ـ على وجهها..
عزوت هذه الحالة إلى شدَّة الكارثة التي حلَّت بها..
وتذكَّرت آنذاك المثل الذي يقول:
«إنَّ المآسي الأشـدَّ قـسـوة، هـي المآسي الصامتة الخرساء»!!
أبوه، واقف كالشبح المبهم
اكتفى بالقول بصوت مخبول أبله:
- «حسناً، ربما يكون هذا أفضل له»!

كانت الجثَّة ملقاة على أريكتي
وبوجود الخادمة، كان عليَّ أن أهتمَّ بآخر الترتيبات، حين دخلت عليَّ الأمُّ فجأة لكي ترى ابنها، كما قالت..
في الحقيقة، لم أكن لأستطيع أن أمنعها من أن تنتشي برؤية صغيرها الجميل
وأن تثمل بألمها حتَّى النهاية
ولم أكن لأستطيع أيضاً أن أرفض هذا العزاء الأسوَد لأم فقدت ابنها..
طلبت منِّي أن أريها المكان الذي شنق ابنها نفسه فيه
- «ولكن يا سيِّدتي، إنَّ هذا مؤلم»..
أجبتها، وأنا أنظر من دون أن أنتبه إلى المكان نفسه!
شعرت بالغضب والقرف، حين رأيت المسمار ما زال منغرزاً في الحائط
وخيطاً طويلاً ما زال يتدلَّى منه...
سرعان ما اندفعت أقتلع المسمار والخيط
كآخر أثر لهذه البليَّة!
وحـيـن أردت أن أقـذف بها مـن النافذة المفتوحة
أمسكت المرأة بيدي
وهي تقول بصوت لا يطاق:
- «آه يا سيدي، اترك لي هذه الذكرى أرجوك»،
أتوَّسل إليك..
كان يأسها يبدو لي جنونيَّاً
وحنانها الأموميُّ كان يطفح في كلامها..
إنَّها تريد ذكرى عن ابنها الراحل
لم أكن أستطيع أن أرفض طلبها
أخذت المسمار والخيط وخرجت من دون أن تقول شيئاً بعدها..
أخيراً، أخيراً... كلُّ شيء قد تمَّ، وانتهى!
لم يبق عليَّ سوى أن «أضع رأسي» في العمل
وأن أطرد شيئاً فشيئاً شبح الجثَّة الذي لازم خبايا عقلي

والنظرات التي ما زالت تحدّق بي...
بيد أنَّني في اليوم التالي تلقّيت رزمة من الرسائل
بعضها من صاحب المنزل الذي أسكنه
والأخرى من الجيران
واحدة من الطابق الأول
والثاني من الطابق الثالث
وهكذا كانت الرسائل تترى عليَّ
بصيغة تشبه المزاح
ترجو منّي أن أعطيها بعضاً من الحبل الذي شنق الولد نفسه به...
فجأة، مرَّ وميض في عقلي المغلق
ـ هكذا إذاً،
لقد فهمت الآن لِمَ كانت الأمُّ تتشبَّث بهذه الذكرى لولدها..
كانت تجارة، تأخذ شكل العزاء، ويا لهذا العزاء..!

الغوايـات

«إيروس* »،

لا أجمل من هذين الجنّيين، والشيطانة برفقتهما، وهم يصعدون ليلاً درجات السلَّم الغريب؛ حيث الجحيم الذي يهدِّد ضعف الإنسان الغافي.. ويتسلَّل إلى أعماقه سرَّاً...
انتصبوا أمامي بمهابة وجلال، تنبعث منهم رائحة كبريتيَّة محبَّبة..
لقد تحرَّروا من عتمة الليل، لذا فهم يبدون فخورين بما لديهم.. حتَّى إنَّني كنت شديد الإعجاب بهم!
كان وجه الشيطان الأول غريباً.. لا نستطيع تحديد جنسه، وكان جسمه من الرخاوة يشبه إلى حد كبير أجسام «الباخوسيين*» المترهلة..
عيناه الذابلتان الغامضتان اللَّتان تشبهان البنفسج، كانتا مغرورقتين بدموع العاصفة، بينما شفتاه المنفرجتان، كمجمرة للعطور الحارَّة، تفوح منهما رائحة عطرة.
وفي كل مرَّة يتنهَّد، تخرج حشرات مضيئة من فمه وهي ترفرف مع أنفاسه..
كان قد ارتدى ثوباً أرجوانيَّاً، وتحزَّم بأفعى يلتمع جلدها، وهي تتحرَّك وسطه برأسها المرفوع للأعلى، وعيناها المتَّقدتان تدوران حوله..
من هذا الحزام الحيِّ كانت تتدلَّى سكاكين لامعة، وأدوات جرَّاح ماهر..
في يده اليمنى كان يحمل قارورة ملأى بسائل أحمر برَّاق، وعلى الزجاجة كانت هناك ورقة صغيرة كتب عليها هذه العبارة الغريبة:
ـ «اشربوا هذا السائل، إنَّه دمي، إنه دواء منشِّط»!
في يده اليسرى، كان يحمل كماناً، يستخدمه بلا ريب كي يغنِّي رغباته، وأحزانه... وعدوى جنونه الذي ينتشر في ليالي السبت..
نظر إليَّ بعينين يملؤهما الحزن والكآبة الدامعة.
وبمرارة شديدة تدمي الفؤاد، نطق بصوت غنائي:
ـ «إذا شئت، إذا شئت.. أجعلك سيِّد الأرواح، وستصبح أميراً على الموادِّ الحيَّة، وأكثر من ذلك ستحصل على اللَّذة الدائمة التي لا تنقطع؛ إذ تخرج من ذاتك كي تنساها «في الآخر».. وستجذب جميع الأرواح إليك... فتختلط في روحك أنت»!!
بعد أن سمعت كلامه، أجبته على الفور:
ـ «أشكرك كثيراً، ولكن ما الذي أفعله بهذه الأرواح الرخيصة التافهة، التي لا تستحقُّ أكثر من «أناي» بالذات، لديَّ من الذكريات المخجلة ما لا أريد أن أنسى.. ومع هذا فأنا لا أعرفك أيُّها الماكر العجوز.. إنَّ سكاكينك، وقواريرك، والقيود برجليك، ليست سوى رمز يشرح لي بوضوح أنَّ صداقتك تلك لا تناسبني أبداً. اذهب، واحتفظ بعطاياك لنفسك»!
لم يكن الشيطان الثاني على الصورة المخادعة نفسها، ولا ذاك الجمال الآسر.
كان رجلاً ضخماً، ذا وجه كبير بلا عينين، وبطن تتدلَّى حتى فخذيه، بينما كانت الرسوم تغطِّي جلده بأشكالها المختلفة، التي تشرح البؤس الكونيَّ...
كانت هناك رسوم تصوِّر رجالاً شنقوا أنفسهم، وعفاريت ذوي وجوه ممسوخة.. هزيلي الأجسام، ترى في عيونهم الغائرة التسوُّل والعوز..
وكانت هناك صور لأمهات طاعنات في السنِّ، يحملن صغاراً لم يكتمل قمر أعمارهم في الأرحام... وصور أخرى كثيرة...
بدأ الشيطان الضخم يضرب بطنه بقوَّة..
وبدأت الأصوات الرنَّانة تخرج من معدته.. أصوات معدنيَّة.. غريبة..
كان يضحك بوقاحة، وحين يفتح فمه، كانت تظهر أسنانه المهترئة النتنة.. وفجأة قال لي:
ـ «أستطيع أن أعطيك شيئاً يقدر على كلِّ شيء، ويحلُّ محلَّ كلِّ شيء».. ثمَّ ضرب من جديد بطنه الكبيرة، فكان الصليل.. وكان الصدى...
أدرت وجهي بكلِّ قرف وأجبته:
ـ «لا أحتاج من أجل سعادتي شقاء أحد، ولا أريد غنى يقوم على بؤس الآخرين»..
أمَّا بالنسبة إلى الجنيَّة التي كانت برفقتهما، فأكذب إن لم أعترف أنَّني وجدت فيها، ومنذ النظرة الأولى سحراً غريباً...
لكي أشرح هذا السحر أعتقد أنَّه لا طريقة أفضل من مقارنتها مع امرأة فائقة الجمال دخلت في سنِّ اليأس، لم تفقد بعد نضارتها..
كانت تنظر إليَّ بعينين متعبتين، ولكنَّهما ذات قوَّة غريبة، ولكنَّ ما أثار استغرابي أكثر هو صوتها الذي ذكَّرني بصوت نسائيٍّ كان أوطأ صوت سمعته في الغناء ذات مرة.. صوت أبح شجي، يخرج من حنجرة اغتسلت بماء الحياة...
ـ «أتريد معرفة قوَّتي»؟
سألتني الآلهة المزيفة، بصوتها ذاك الغريب:
ـ «استمع»،
وانطلق صوت فخم.. بدا يعلو.. ويعلو بسحر غامض... ثم أصبح كالرعد قوَّة وفخامة.. وفجأة نطقت باسمي الذي تردد صداه في الأجواء مع مائة ألف قوَّة من قوَّة الرعود.. وكان الصدى يتردَّد في أبعد كوكب هناك...
ـ «يا للشيطان»!
قلت في نفسي،
هو ذا ما أبغي من الفتون والسحر...
ولكنَّني حين نظرت مرَّة ثانية إلى المرأة المغربة، وشاهدت ملامح القوَّة على وجهها، بدا لي بغموض أنَّني كنت قد شربت معها كأساً ذات يوم، ولكن أين؟
لا أتذكَّر!!
إنَّ صوتها النحاسيَّ ليس غريباً عليَّ.. ولكنَّه يرنُّ في أذنيَّ.. كمن يذكِّرني بعاهرة مخادعة..!!

(Endnotes)
*** مانيه: رسَّام فرنسي ولد في «باريس» [1832 ـ 1883]، تأثر بشكل خاص بفناني إسبانيا في عصرها الذهبي، أثر كثيراً في المدرسة الانطباعية أهم لوحاته: العشب، أولمبياد، الشرفة.**
*** إيروس: إله الجنس.**
*** الباخوسيون: أصحاب «باخوس» إله الخمر.**

نصان

رشا معتز الخضراء

جِراحي الحمراءْ

خمسٌ منَ الأركانِ أنتِ
ورحيقها ملأ السماء
سجدةٌ تَسمو إلى حيثُ الأقصى
فينتشي بحرٌ منَ القداسةِ
يستولي على عرشِ الفؤاد
فتصبحُ سيرة تروي
حكايات الأجداد
فقَدتْ أطفالَها ونساءَها
في مساءٍ ناشزٍ
فاعتلَّ منها القلب
ولبِسَ السواد
وَمَضَتْ تَئِنُ وجعاً
في صقيعٍ منْ رماد
على الدفء المُخَبأ بالصداح
فيحطمنا كجدارٍ تهاوى
على الأطفالِ في نزفِ الصياح
لتصيحَ القُدسُ وجعاً
لِتزورَ حلميَ الآتي
معَ الزمان
وتلقاني بلا صخبٍ
جِراحي الحمراءْ

ملحمةُ العشقِ

طفل كنتُ أرعاهُ
وعلى ساعديَّ كم تدلّى
برأسهِ يوماً ..
أستعيدُ حبّهُ من عُمق المَدى
أعزفُ الحبَّ لحناً مع الغروبِ
كي لا يُخدعَ حُبّي
وإذا ما ابتعدَ قليلاً
أقرأُ الآهَ في شغف قلبِه ..
ليتَ لي جناحاً
لأطيرَ حيثُ هوَ ..
فأنا خليفةُ هذا المدَى
ولي نورٌ أزيّنُ بهِ السَّماءَ
أيُّها الصغيرُ ...
تعالَ وابسُطْ من الطفولةِ ذِكرى
أأفتحُ لكَ البابَ ؟
وقد هجرتِ القلبَ الحزين يَمامةٌ ..
خَبّأتْ نفسَها
لتصيرَ السَّماءُ مِنكَ قريبةً
أعودُ للذِّكرى
إلى ماضيكَ
فكم أهوَى ماضيكَ
يا سيّدي !!
وكم أهوى ينابيعَ الحياةِ حولَك..!!

نشاطات فرع السويداء لاتحاد الكتاب العرب

الأربعاء 2013/6/19 محاضرة للأستاذ زياد النداف بعنوان (وحدة الوجود عند ابن عربي) في الساعة الواحدة ظهراً في قاعة المحاضرات بمقر الفرع.

الأربعاء 2013/6/26 قراءات أدبية للأساتذة نواف كيوان (شعر) وأمين طربيه (شعر) و مرسل العيسمي (قصة) في الساعة الواحدة ظهراً في قاعة المحاضرات بمقر الفرع.

غيوم الذاكرة

مجموعة قصصية جديدة صدرت للأديب المهندس محمد علي ديب حملت عنوان (غيوم الذاكرة)، أهداها مؤلفها إلى الغيمة الماطرة في كل حين.. إلى حبيبة الشمس والقمر.. وكل الفراشات والعصافير.. إلى أميرة الأحلام.. إلى العصية على الأعداء والطامعين.. إلى التي عانق عطرها عبق التاريخ.. إلى أرض المجد والحب والسلام.. إلى الشام...

احتضنت المجموعة باقة من القصص هي: صراع داخلي، غيوم الذاكرة، في زمن الخلوي، جمرات تحت الرماد، الخسران المبين، كشف المستور، توق، انحناء، وقد هامت بين سطور المجموعة روح إنسانية عالية الشفافية وتجلت بين حروفها صور رائعة نسجت خيوطها بلغة واثقة معبرة وواقعية سردية لم تفقدها طيوف الرومانسية متانة تأثيرها وملامستها القارئ بأصابع من غيم.

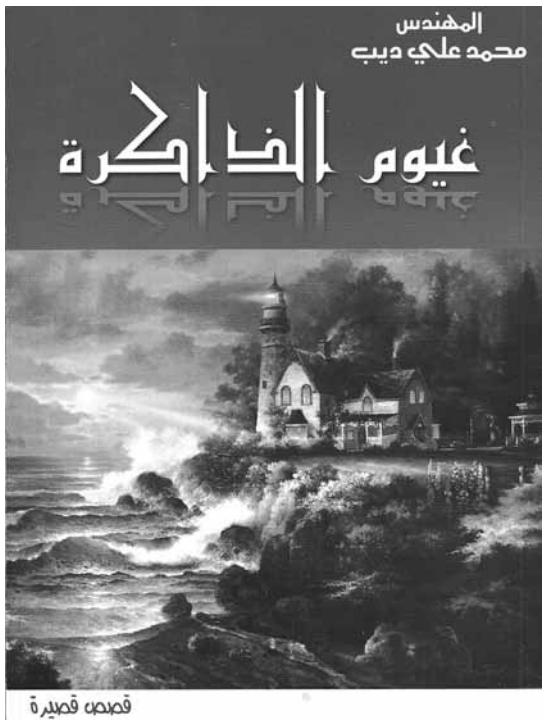

من قصص الفن والحياة /تتمة/

استيقظ أخواه، اختلفوا فيمن ستكون المرأة من نصيبه، وكانت من نصيب العابد التقي، إذ لولاه لما دبت فيها الحياة. والحكاية تدل على أن القيمة للحركة والحياة، وأن القيمة هي للروح لا للجسد، وأن الإبداع الحق هو إبداع الخالق عز وجل، فهو الذي يهب الحياة، وكل إبداع دونه هو إبداع ناقص، كما تدل على أن الإنسان بحاجة إلى الفن، فهو لا يستغني عنه، وبه يتسلى، ويملأ وقته، ويحقق ذاته، ولكن حاجته إلى الحياة أقوى، ولذلك لا يكتفي بالفن، وتدل أيضاً على حاجة الرجل إلى المرأة، وأن الحياة لا تكتمل إلا بهما معاً، ولعل الحكاية توحي بأن الحياة لا تقوم على التعامل مع الجسد في شكله وماديته، ولا بد من التعامل مع الروح.

***

ومن قصص الفن والحياة ما يروى عن العربي في الجاهلية من أنه كان يصنع تمثالاً من تمر لإله، ويقعد أمامه يتعبده، ثم إذا ما جاع أكله، وهذا ليس بغريب، فهو يأكل تمراً، بل هو طريف، ولكن من الغريب أن بعض القبائل البدائية كانت تخضع لزعيم القبيلة وتقدسه، حتى إذا ما أفرط في ظلمها، ثارت عليه، فقتلته، ثم أكلته، وفي العصور الحديثة ثار المتمردون على يوليوس قيصر، فقتلوه، وفي عصور أحدث صنعت بعض الشعوب تماثيل لحكامها، ثم حين سقط رفعوا تمثاله من الساحات، واحتفظوا به في صالات المتاحف، أو في أقبيتها، وربما حطموه.

***

ويروى عن مارسيل بروست صاحب رواية «البحث عن الزمن الضائع» أنه زار ذات يوم معرضاً فنياً لإحدى الفنانات، ووقف طويلاً أمام لوحة تصور فيها زهرة، فسألته الفنانة عن رأيه، فأجابها: «أنت أضفت إلى أصناف الزهور في العلم صنفاً جديداً». يدل هذا الخبر على أن الفنان مبدع يضيف إلى الطبيعة، ولا يقلدها.

***

ولعل من أجمل قصص الفن والحياة قصة «الأمير السعيد» لمؤلفها أوسكار وايلد، وهي تحكي عن تمثال مبني على قاعدة عالية تطل على لندن، وهو مكسو برقائق من ذهب، وفي موضع العينين منه جوهرتان ثمينتان، وعلى مقبض سيفه عقيقة، واحتمى به ذات يوم من ريح الشتاء سنونو صغير تأخر عن اللحاق بالسرب المهاجر إلى سماء مصر الدافئة، وسأله التمثال عما رأى في لندن فأخبره عن طفل مريض لا تجد أمه ثمن الدواء، فطلب منه أن يحمل العقيقة في مقبض سيفه ويرميها له، واضطر السنونو إلى تأجيل سفره، واشتد برد الشتاء، وفي اليوم التالي أخبره عن كاتب لا يجد ثمن وقود يستدفئ به وعليه أن يتم كتابة مسرحية تعهد بها، فطلب منه أن يقتلع الجوهرة التي هي في موضع عينه، وفي يوم تال طلب منه أن يقتلع الجوهرة الثانية ليرميها لطفلة صغيرة فقيرة تتسوَّل في الشارع، ثم طلب منه أن يقتلع رقائق الذهب ليرميها إلى أطفال مشردين ينامون تحت الجسر ولا يجدون مأوى، وفي أثناء ذلك كله كان السنونو يؤجل رحلته إلى سماء مصر الدافئة وكان برد الشتاء يزداد قسوة ولا يجد السنونو مأوى غير التمثال ينام بين قدميه، وفي الليلة التي قرر فيها الرحيل هبت عاصفة ثلجية، مات فيها السنونو من البرد، وفي الصباح مرَّ رئيس البلدية فرأى التمثال وقد تقشر عنه الذهب وزالت عنه الجواهر، وأصبح مأوى للطيور الميتة، وليس في ميزانية البلدية ما يكفي لترميمه، فأمر بصهره في الفرن، واقترح أن يصنع لنفسه تمثالاً من المعدن المصهور، ولكن عامل السبك أخبره أن المعدن لا يصلح للسبك ثانية، فأمر برميه، فألقي معدن التمثال المصهور حيث ألقي جثمان السنونو الصغير، ودفن إلى جواره.

***

تلك بعض قصص الفن والحياة، وفيها ما يدل على حاجة الإنسان إلى الفن، وحاجته إلى الحكاية، وفي جمع جمال الصورة إلى جمال الكلمة، ما يشبع رغبة الإنسان في الفن وفي الحياة، وهما معاً متكاملان، وتلك هي متعة الفن ومتعة الحياة.

قراءة بين سطور الأحداث /تتمة/

هذه المرحلة ومن خلال المعطيات والتطورات التي لم تعد تقبل الجدل والتأويل والتسويغ، وإذا كان الإنسان العادي أسير العواطف والغرائز، ولا يتوقف عند البحث عن حقائق الأمور وآليات تواترها، فإن أولي الألباب علموا ويعلمون، ويجب أن يعلموا ويعلّموا أن إسلاماً تقوده أم الصهيونية العالمية وحاضنة وعد بلفور ومهندسة سايكس – بيكو، لا يمكن أن يكون إسلام الرسول العربي والكتاب العربي والرسالة العربية إلى الناس أجمعين، وعلى الجميع أن يتذكروا شعار الأمس القريب «إن الإسلام هو العدو الأول بعد سقوط المعسكر الاشتراكي»، وعلى الجميع أن يتذكروا أيضاً أن أدعياء الإسلام وعصاباتهم المفبركة بقرار صهيوني عالمي هي التي تفتح آفاق التدخل في شؤون الإسلام والمسلمين، وهي التي ترتب الأوضاع وفق المخطط الإجرامي الذي يستهدف الجميع بلا استثناء.

يأمرنا الله ويعلّمنا في جميع الرسالات السماوية القراءة، فنرفض، وعندما تأمرنا الصهيونية العالمية بالقتل، نتسابق في فنون القتل والذبح والدماء والأشلاء المحرمة على الجميع مخالفين شرائع الأديان والإنسان، ولا نتورع عن التجارة بالله وكتابه ورسوله وقيمه وشرائعه، مدّعين أننا من الله وإليه وهو منّا براء.

وتتزاحم الفتاوى وتتسابق في الابتعاد عن القيم الإنسانية التي يمثل الإنسان جوهرها ومنطلقها ومبتغاها، مما شوّه الإسلام شرعاً وشريعة، وأظهره عدواً همجياً متخلفاً هدفه الأسمى القتل والتدمير والتخريب، حتى غدا مسرحية هزلية في عيون البشرية جمعاء، وهذا بحد ذاته سيشكل مسوّغاً لإزالته وإسقاطه وإسقاط أتباعه وأشياعه الصادقين والمنافقين.

ومن هنا لا غرابة في الأمر أن يُطوى كتاب الله، ويشكك في رسول الله، ويحل الاجتهاد محل الاعتقاد، ويحاصر الصحابة الأجلاء بكعب الأحبار ووهب ابن منّية وعبد الله ابن سبأ وسواهم من الدخلاء والأدعياء، الذين أشعلوا نار الفتنة في الإسلام كما أشعلوها من قبل في المسيحية ولا تزال تلك النيران مستعرة حتى يستيقظ النائمون تحت الرماد ويعلموا على سبيل المثال لا الحصر أن وعد بلفور هو وعد عبد العزيز آل سعود بإعطاء فلسطين لمساكين اليهود وغيرهم دون تردد أو حياء من قدس أو قداسة (نص الوثيقة الحرفي موجود في الموسوعة السياسية ص915).

وتاريخ الشرق والغرب لا يزال شاهداً على هول الجريمة وفظاعة الاستهداف، لكن الغرب أفاق قليلاً من سباته وضلالات الصهيونية العالمية التي فتكت به على مدى قرون، بينما لا يزال الشرق في عمهٍ مرين، والخوف الأكبر أن يبقى سادراً في غيه إلى يوم الدين، جاهلاً أو متجاهلاً أن الإسلام ليس تشريعاً وضعياً؛ بل شريعة متكاملة، لم يأت ناقصاً ليكمله أحد، ولم يك مبعثراً ليقوم أحد بمهمة جمعه وتوثيقه؛ فالله أنزله وتعهد بحفظه في كل حين (إنّ علينا جمعه وقرآنه) (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، ومن هنا فإن الشريعة الإسلامية قانون عام وليست اجتهاداً يدلي كل من أراد فيها برأيه ورغباته، ويأخذ بما يريد، ويدع ما لا يريد، والأمر هنا بمجمله مردود إلى الله ورسوله (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)؛ فكيف أصبح الإسلام مشارب ومذاهب، يتكلف فيها من يتكلف، ويتخلف فيها من يتخلف؟! وهل يمكن إخراج الدين من العقيدة إلى الرأي؟! وإذا كان الاجتهاد مشروعاً، فلا يجوز أن يكون شريعة؛ لأنه لا اجتهاد بوجود النص الذي (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها) لقد ابتلي الإسلام بالمذاهب؛ كما ابتلي الإنسان بالمصائب، والخسارة واردة في كل ابتلاء في الأرض والسماء.

وهذا يقودنا إلى التوصيف التفصيلي في بعض الجهات التي كتبت الإسلام ملكاً خالصاً لها من دون العالمين، فكفرت ونفرّت بلا علمٍ أو يقين.

فالقاعدة المتأسلمة ليست سوى صنيعة غير إسلامية، ونقطة ارتكاز ومنطلق لتسويغ ضرب الإسلام في كل بلد وفي كل زمان ومكان، يشعر فيه أعداء الإسلام بخطر يهدد وجودهم ومصالحهم، ويكفي للاستدلال على ذلك أن تحركات هذه القاعدة دائماً في خدمة أعداء الإسلام.

وهذه التحركات القاعدية المنهجية تضع الجميع أمام مسؤولية البحث والتدقيق والتحليل في اتجاهات التحرك وغاياته وأهدافه وتوجهاته، ففي كل مشروع استهداف معادٍ للأمة العربية والإسلامية، تطل القاعدة برأسها المسموم لتشكل مسوّغاً للتدخل وغطاء للعدوان.

وبالرغم من الاعتراف العلني المتأخر قليلاً للصهيو – أمريكية بصناعة هذه القاعدة، فإن العديد من الأدوات والأذناب تتسابق في الدفاع عنها، وتقديم جميع أشكال العون لها مادياً ومعنوياً وإعلامياً، وكأن الجميع فقد الذاكرة ونسي أن الإسلام دين الشرق إلى العالم، وليس دين العالم إلى الشرق، فلا مكة هي نيويورك، ولا المدينة هي تل أبيب، ولا محمد بن عبد الوهاب النجدي هو محمد رسول الله (ص)؛ فكفى ضلالاً وتضليلاً وتلاعباً بالعقول، فالحقيقة لم تكن في يوم من الأيام ملك أحد دون غيره، وإن كانت فلم تعد كذلك. ولسوف تبقى ملك العقول النيرة والإرادات الخيرة، التي تخدم وتحترم الإنسان والبنيان؛ وتضيء الدروب بأنوار العلم والعرفان، وتنتهج في سبيل ذلك مكارم الأخلاق وقيم الحضارة الإنسانية الراقية بعيداً عن التزوير والتكفير والقتل والتدمير.

فالأديان رسالات إخاء ومحبة وحقوق وواجبات بين أبناء الإنسانية جمعاء من دون تمييز أو تفضيل لعرق أو لون أو هوية، ومن خرج عن ذلك فقد خرج على جميع الأديان والعروة الوثقى بين الله والإنسان.

اجتماع المكتب الدائم للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب في أبوظبي

انعقد اجتماع المكتب الدائم للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب في أبوظبي عاصمة دولة الإمارات العربية المتحدة بين 3 و5 يونيو / حزيران 2013 برئاسة الأستاذ محمد سلماوي الأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، وبحضور أربعة عشر وفداً ممثلاً للاتحادات والروابط والأسر والجمعيات الأعضاء، وهم: اتحاد كتاب وأدباء الإمارات- اتحاد كتاب مصر – الاتحاد القومي للأدباء والكتاب السودانيين – اتحاد الكتاب التونسيين – اتحاد كتاب المغرب – اتحاد الأدباء والكتاب الموريتانيين – الاتحاد العام للأدباء والكتاب الفلسطينيين – رابطة الكتاب الأردنيين – الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين – رابطة الأدباء في الكويت – أسرة الأدباء والكتاب في البحرين – الجمعية العمانية للكتاب والأدباء – اتحاد الكتاب اليمنيين ، بالإضافة إلى وفد الأمانة العام .

وقد كان من المفروض عقد هذا الاجتماع في بغداد إلا أن الأحوال الأمنية في العراق حالت دون ذلك، وصدر بيان ختامي وبيان ثقافي.

البيان الختامي:

أكد البيان الختامي على أن الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب يدعم دولة الإمارات العربية المتحدة في جميع ما تتخذه من إجراءات لحفظ أمنها الوطني، وحقوقها المشروعة للتصدي للتيارات الظلامية التي تستهدف الاستقرار والسلام الاجتماعي في هذا القطر العربي العزيز.

ونص البيان الختامي على أن اجتماع المكتب الدائم يشدد على أهمية وضرورة مواجهة مخاطر التهويد التي تزداد على القدس الشريف وعموم الأراضي الفلسطينية، ومطالبة الدول العربية شعوباً وقيادات لدعم مقاومة الاحتلال، وتوفير كل ما من شأنه إسناد صمود أهلنا في الأرض المحتلة.

وأدان الاتحاد العام الفتاوى التي تثير الفتنة والاقتتال وشق صف الأمة، وتأتي فتاوى الشيخ القرضاوي في هذا السياق الذي يدعو إلى إباحة الدم، واستدخال القوى الأجنبية للبلاد العربية بما لا يخدم وحدة الأمة واستقلالها.

وقد نص البيان على التالي:

بعد استعراض شامل وعميق للمتغيرات التي يشهدها الوطن العربي على الصعد كافة، ومراجعة التأثير المحتمل لكل ذلك على واقع المثقفين والأدباء والكتاب العرب، وقبل ذلك على واقع الدول العربية وتطلعات شعوبها المشروعة إلى تحقيق قيم الحرية والعدالة والاستقرار. ومما جاء في البيان:

- تابع الاتحاد العام متغيرات الساحة العربية بالكثير من الترقب والقلق خصوصاً ما اتصل منها بآثار الثورات في عدد من البلاد العربية، ولاحظ صعود تيارات وجماعات تتبنى خطاباً تكفيرياً وإقصائياً، ما يهدد الأمن القومي الثقافي والوحدة الوطنية، وما يتيح للاتجاهات الطائفية والعنصرية القيام بأدوارها المشبوهة المعلومة، وهو الأمر الذي يستدعي التعامل مع الواقع الجديد بيقظة وانتباه، والتصدي له بروح جمعية تقدم المصالح القومية والوطنية العليا على ما عداها، على أن يترافق ذلك مع الترشيد والحكمة.

- يؤكد الاتحاد العام، والحالة تلك، إيمانه وإيمان أعضائه بالتعددية والحرية، ويحثّ الدول العربية على تبني قيم العدل والحق والمساواة والسياسة المتوازنة، لافتاً النظر إلى أن تيارات الإسلام السياسي والتطرف تجد طريقها إلى السيطرة سهلاً في حالة فراغ أوطاننا من الدساتير والتشريعات التي تكفل كرامة الإنسان العربي.

- راقب الاتحاد العام على مدى الفترة الماضية ما يتعرض له التراث الثقافي الفلسطيني من طمس لآثاره إلى جانب نهب وسرقة جزء من العناصر الثقافية المكونة للهوية الوطنية الفلسطينية، وأقر الاتحاد تخصيص يوم كل عام للاحتفال بيوم الثقافة الفلسطينية، وذلك نحو إقامة أنشطة ومحاضرات وندوات ومعارض كتب وتشكيل في جميع المنظمات القطرية التابعة للاتحاد العام.

- يؤكد الاتحاد العام ضرورة تكريس فكرة الدولة المدنية، والنظر إليها كمشروع قومي ووطني قابل للتطبيق بتهيئة جميع أسبابه ووسائله، بحيث تبنى الدول على أساس مبدأ المواطنة، مع نبذ نزعات التطيف والتمذهب والانحياز إلى العصبيات والمصالح الضيقة، وكذلك العمل على تحقيق البيئة الوطنية للمكونات الاجتماعية من دون استثناء. وفي هذا الصدد يؤكد الاتحاد العام حق الشعوب في الوصول إلى حقوقها بالوسائل المشروعة، خصوصاً تلك المتصلة بإشاعة الديمقراطية، وإقرار الحريات العامة والعدالة الاجتماعية والسياسية، والسعي للحيلولة دون إعادة إنتاج الديكتاتورية بأشكال جديدة.

كما يدين الاتحاد العام الفتاوى التي تثير الفتنة والاقتتال وشق صف الأمة، وتأتي فتاوى الشيخ القرضاوي في هذا السياق الذي يدعو إلى إباحة الدم، واستدخال القوى الأجنبية للبلاد العربية بما لا يخدم وحدة الأمة واستقلالها.

- شدد اجتماع المكتب الدائم على أهمية وضرورة مواجهة مخاطر التهويد التي تزداد على القدس الشريف وعموم الأراضي الفلسطينية، ومطالبة الدول العربية شعوباً وقيادات لدعم مقاومة الاحتلال، وتوفير كل ما من شأنه إسناد صمود أهلنا في الأرض المحتلة.

- مقاومة التطبيع، والعمل الجدي نحو تعزيز مواجهته بكل أشكاله، وأن تعمل المؤسسات الوطنية في الدول العربية ذات الاختصاص الأكاديمي والفكري والثقافي على ترسيخ القضية الفلسطينية باعتبارها القضية الأولى، مع حشد الإمكانات المادية والمعنوية لنصرة الشعب الفلسطيني في نضاله ضد الاستيطان بوصفه سياسة عدوانية ممنهجة، والوقوف معه لنيل حقوقه التاريخية المشروعة.

ويتبنى الاتحاد العام عقد مؤتمر سنوي موضوعه «مقاومة التطبيع» بحيث تتناوب الاتحادات العربية على تمويله واستضافته.

- يقف الاتحاد العام بقوة ضد ما تتعرض له بعض البلدان العربية كفلسطين والعراق من عمليات سرقة لتراثها، ويدعو إلى اتخاذ كل ما يلزم لإيقاف ذلك، وإعادة كل ما تمت سرقته، بوصفه حقاً تاريخياً للأجيال جميعاً لا لجيل بعينه.

- يرفض الاتحاد العام التدخلات الأجنبية في أي شأن عربي، ويدين أي وجود عسكري في أية دولة عربية، ويرجو لمناطق التوتر والنزاع في الوطن العربي التوصل إلى معالجات داخلية عبر الحوار الحر غير المشروط، بحيث يكون الحوار حالة مستمرة وغير طارئة.

وفي هذا السياق ينظر الاتحاد العام إلى ما يجري في سورية بقلق شديد، ويدعو الأطراف جميعاً إلى الحرص على صون الوطن واستقلاله، وتجاوز حالة الاحتراب اليومي، مع التأكيد على حق الشعب السوري في الحياة الديمقراطية الكريمة.

- يؤكد الاتحاد العام وقوفه مع السودان ضد التدخلات الأجنبية التي تهدف إلى تمزيقه، ومحو هويته العربية، كما يدين تدخلات القوى الأجنبية بالمال والسلاح، والدعم اللوجستي والإعلامي في العدوان على الأراضي السودانية، وترويع الآمنين في مناطق التماس في دارفور والنيل الأزرق وجنوب كردفان. كما يدعو الاجتماع إلى الحل السلمي، وأن يجلس السودانيون لحل نزاعاتهم عبر الحوار البناء الذي يحفظ للوطن كرامته وحريته واستقلال قراره.

- يتضامن الاتحاد العام مع دولتي مصر والسودان ضد المشروعات المائيّة الماسّة بحقوقهما التاريخية والمشروعة في مياه النيل، وفق الاتفاقيات الدولية التي تصون هذه الحقوق، مع كامل التقدير للتعاون التام بين دول حوض النيل فيما يعود بالخير على هذه الدول كافة.

يدين الاتحاد العام الاستعمار الإسباني لمدينتي سبتة ومليلة المغربيتين، ويطالب بتحريرهما فوراً من قبضة الاحتلال الإسباني مع بقية الجزر المغربية المحتلة. كما يدين الغارات المتكررة من الطائرات الأمريكية دون طيار على المواطن اليمني بطريقة ممنهجة، ويبارك ما تقوم به الحكومة والشعب اليمنيّ من مواجهات ضدّ الميلشيات المتطرفة والفكر الظلامي الذي تتنامى أنشطته في اليمن. ويبارك كذلك لكافة الفرقاء السياسيين مؤتمر الحوار المستمر انعقاده في سبيل الخروج باليمن من مخاطر التشطير والاحتراب.

ويعبر الاتحاد العام أيضاً عن وقوفه مع جمهورية الصومال في نضالها لاستعادة دورها عضواً حياً وفاعلاً ومؤثراً في الأسرة العربية، لاسيما وهي تسعى إلى محاربة قوى التطرف والظلامية، وإقامة الكيان المدني الحرّ.

- يحث الاتحاد العام جميع الدول

الشقيقة على الاهتمام بلغتنا الأم - لغة الضاد، والحرص على أن يضمن ذلك في مناهج التعليم النظامي منذ سنواته الأولى، بحيث يكون ذلك إلزامياً في مؤسسات التعليم العاملة في الوطن العربي.

- يطالب الاتحاد العام الدول العربية التي لم تسمح حتى الآن بإقامة كيانات ثقافية تعبر عن الأدباء والكتاب فيها إلى المبادرة إلى ذلك.

- تعبر الاتحادات العربية عن امتنانها العميق لدولة الإمارات العربية المتحدة حكومة وشعباً لما وجدوه من حسن الاستقبال وكرم الضيافة وأجواء الحرية التي أسهمت في نجاح الاجتماع.

البيان الثقافي :

جاء في البيان الثقافي الذي يصدر للمرة الأولى أنه بالإضافة لمناقشة التقارير المختلفة والفعاليات الشعرية النقدية الموازية فقد توافق المشاركون بعد نقاشات معمقة ومسؤولة على إصدار البيان الثقافي التالي : إذا كان دور المثقفين دوراً رائدا و هاما في الارتقاء بالذائقة الجمالية والوعي النقدي والمعرفة الخلاقة و في التهيئة للتحولات الكبرى والنهضة فان ما تواجهه الثقافة العربية هذه الأيام ولاسيما ثقافة التنوير والاختلاف والعقل النقدي يضاعف من أهمية هذا الدور والتعويل عليه أكثر من أي وقت مضى .

و حيث كانت الآمال كبيرة و عريضة لمواجهة العبث والفساد وترويض المثقفين ، فقد بدأت هذه الآمال بالانحسار ، وحل الخوف والقلق والالتباس مكانها ، وصرنا أمام قديم يحتضر و جديد غامض محفوف بالمخاطر ، ومن ذلك على سبيل المثال:

- ظاهرة التكفير الثقافي والإقصاء والتطاول على الرموز الثقافية والقومية .

- الانبعاثات والاحتقانات الطائفية والمذهبية والجهوية والتحريض عليها في المنابر المختلفة ، وتأتي دعوات فضيلة الشيخ القرضاوي في هذا السياق .

- خلط الأوراق والأولويات و التناقضات و خلق حالة من البلبلة واليأس وصولاً إلى موت مجاني .

- خلط المفاهيم أياً كانت النوايا التي تقف خلف ذلك و سواء كانت مقصودة أو ناجمة عن التباس معرفي ، فهي اليوم برسم أجندة مريبة ، كما هو الحال في الخلط بين الليبرالية التي تفصل حقوق الإنسان و حريته عن حرية الدولة ، و بين الديمقراطية التي تؤسس العلاقة الجدلية بين الحريتين .

- محاولات اختراق المثقفين بأشكال شتى لدمجهم في مشاريع ومراكز الفوضى الهدامة ، و يشار هنا إلى خلط آخر شديد الخطورة بين المنظمات غير الحكومية و بين جماعات مرتبطة بمؤسسات و مراكز دولية تعمل سيناريوهات الفوضى الهدامة المذكورة ،وفي كل ذلك فان انسحاب العقل أو استقالته والفراغ الثقافي ومقاربات مبهمة للمدارس والتيارات الفكرية والنقدية والأدبية يرتب علينا مسؤوليات كبيرة في تقديم إجابات ملموسة و شجاعة و بديلة بحجم المرحلة وتحدياتها ومنها :

- إعادة الاعتبار للثقافة في أعين العامة و للمثقف و موقعه الاجتماعي والوطني .

- إحياء ثقافة التنوير «العقل النقدي» ومواجهة ثقافة الإقصاء والتكفير والتهميش والفرق التاجية والاستلاب والانعزال في الوقت نفسه .

- إعادة الاعتبار للهوية العربية كهوية ثقافية جامعة مقابل الهويات الفرعية والمذهبية .

- تنظيم مؤتمرات و ملتقيات عربية تقارب الموضوعات والقضايا الساخنة والمستجدة مثل ثقافة التكفير والاستشراق الجديد والتباس المفاهيم والتنوير العقلانية و حوار وتواصل الثقافات والحضارات .

- إيلاء أهمية كافية للحالة الثقافية الفلسطينية في مواجهة العدو الصهيوني واستهدافاته على كل الجبهات ومنها الجبهة الثقافية .

- إعادة الاعتبار لثقافة الحوار العربي و شركاء العرب في الحضارة والتاريخ والجغرافيا ومن ذلك مثلا طريق الحرير الثقافي . - توسيع مساحة العمل الثقافي العربي المشترك و خاصة عبر الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب مثل العمل الحثيث مع الأوساط المعنية في السعودية و قطر لتشكيل اتحادات للكتاب والأدباء في هذين البلدين .

- دعوة الحكومات العربية للكف عن اعتقال المثقفين و التدخل في حرية التفكير والتعبير والنشر والإفراج الفوري عن أي معتقل ثقافي في سجونها .

- ومن قبل ومن بعد إعادة الاعتبار للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب كشريك أساسي في نهضة الأمة ومواكبة الديموقراطية والحرية .

المراسلات:
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص .ب(3230) - هاتف 6117241-6117240
-فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 15ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشتراك السنوي -داخل القطر:أعضاء اتحاد الكتاب العرب 500 ل س - للأفراد1000ل.س -وزارات ومؤسسات1217ل.س - في الوطن العربي:للأفراد300 ل.س أو30 $ - للوزارات والمؤسسات 4000ل.س أو40$-خارج الوطن العربي:للأفراد 6000ل.س أو 120 $ - للمؤسسات7000ل.س أو140$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجهات نظر أصحابها

www.awu.sy
E-mail : aru@tarassul.sy

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:
- غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
- منضدة ومراجعة ومدقّقة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
- لا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمئة كلمة.
- يرفق مع المادة (C.D) أو ترسل عبر البريد الإلكتروني.
- يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.
- لا يرسل الكاتب أكثر من مادتين.

إعلان مسابقة الأسبوع الأدبي للعام ٢٠١٢ في أدب الأطفال (الشعر)

تعلن صحيفة «الأسبوع الأدبي» عن مسابقتها السنوية للعام 2013 في أدب الأطفال (الشعر).

توصيف المسابقة وشروطها:

1 ـ المسابقة مفتوحة لكل الكتاب العرب السوريين ومن في حكمهم.

2 ـ المسابقة مفتوحة للموضوعات الإنسانية كلها.

3 ـ المشاركة تقتصر على نص واحد للكاتب.

4 ـ ألا تكون المادة منشورة سابقاً بأي وسيلة من وسائل النشر الورقية أو الالكترونية، أو فائزة بأي مسابقة من قبل أو مرسلة لمسابقة أو للنشر.

5 ـ يشترط أن تكون المادة مكتوبة بلغة عربية فصيحة.

6 ـ ترسل ثلاث نسخ من المادة مرقونة على الحاسوب، ومغفلة من اسم الكاتب، ضمن مغلف مناسب يحتوي على العمل المشارك، مع مغلف صغير يتضمن:

ـ الاسم المعتمد فنياً للكاتب.

ـ الاسم الثلاثي للكاتب.

ـ عنوان المادة المشاركة.

ـ صورة عن الهوية الشخصية.

ـ إثبات رقم وسائل الاتصال معه: (هاتف أرضي ـ هاتف محمول ـ صندوق بريد ـ عنوان بريدي).

7 ـ تسلم الأعمال إلى ديوان اتحاد الكتاب العرب، أو ترسل إليه بالبريد العادي، ضمن مغلف مغلق، وتكتب في الجهة اليسرى العليا من المغلف عبارة: /مسابقة «الأسبوع الأدبي» في أدب الأطفال (الشعر).

8 ـ آخر موعد لاستلام المواد نهاية الدوام الرسمي ليوم الأربعاء 25 أيلول 2013.

ويعتمد خاتم البريد للأعمال التي تصل بعد هذا التاريخ.

9 ـ أحكام ملحقة:

الجوائز:

تحدد قيمة الجائزة:

الجائزة الأولى: 25000 ل. س.

الجائزة الثانية: 20000 ل.س.

الجائزة الثالثة: 15000 ل.س

10 ـ يسمي المكتب التنفيذي لجنة التحكيم من ثلاثة محكمين تبعاً للجنس الأدبي ولجنة التحكيم تخضع للسرية الكاملة.

11 ـ توزع الجوائز في حفل خاص يحدده المكتب التنفيذي.

12 ـ تنشر الأعمال الفائزة والمنوّه بها في الجريدة.

عُذراً سورية لغسان كامل ونوس

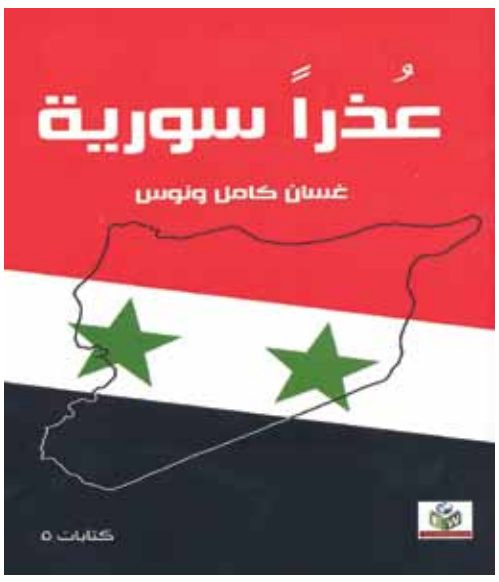

هي كتابات في الزمن الصعب و الوقت العسير، اختارها الأديب غسان كامل ونوس تحت عنوان: «عذراً سورية..» صدر عن دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع في /270/ صفحة، وهو الكتاب الخامس تحت عنوان «كتابات»، وضم العديد من العناوين، ومم كتبه الناشر على الغلاف: «ليس ثمة أصعب على الأديب من الكتابة عندما يكون مجتمعه منقسماً، فالأديب يكتب للجميع، ولئلا يُفهِمَ خطأً قد يؤثر الصمت، لكن هذا الصمت قد يكون قاتلاً عندما يكون الوطن في خطر.

الأديب غسان كامل ونوس، رأى هذا الخطر ماثلاً مبكراً، وأخذ ينبه بكل ما أوتي من بيان وحجة إلى الخطر المحدق، ويدعو إلى الوحدة الوطنية لمواجهته مدركاً أنها الشرط الأساس لإلحاق الهزيمة بالعدو الذي يتربص بالوطن.

عند المنعطفات الكبرى تبرز أهمية الوطن الكبرى، وإلى الوطن، سورية، يتوجه الكاتب بالاعتذار، «عذراً سورية» بلسان الكتاب السوريين وربما الناس جميعاً.

يتوجه هذا الكتاب إلى القراء واضعاً بين أيديهم قضية الوطن، مستصرخاً ضمائرهم أن يتفقوا على الوطن، من دون أن يتجاهل ضرورة الاختلاف، الذي يرى أنه ظاهرة صحية في المجتمعات الناهضة.

هذا الكتاب شهادة حية على رؤية عميقة شاملة للواقع الصعب الذي يعيشه الشعب السوري يمثل وثيقة مرجعية تؤرخ ثقافياً لهذا المفصل الحرج في حياة وطنه، ويصور أدبياً آلام كاتب يستشعر هول الأخطار التي يواجهها شعبه ببطولة وقدرة على التحمل نادرة».

غادة السمان ومسيرتها الثقافية والإبداعية

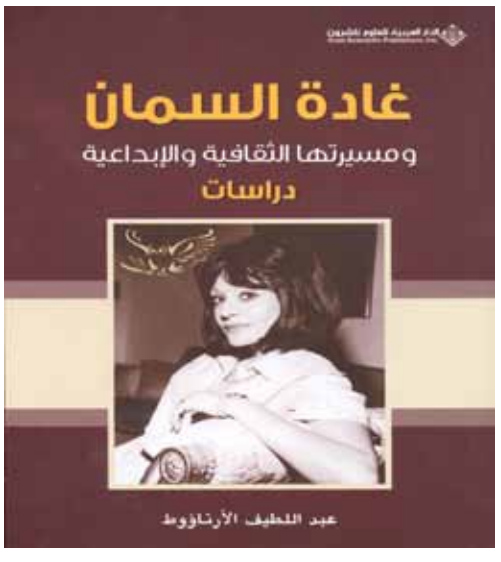

عن الدار العربية للعلوم صدر للأديب عبد اللطيف الأرناؤوط وتحت عنوان دراسات كتاب «غادة السمان ومسيرتها الثقافية والإبداعية».

حيث يشكل الحوار الفكري والثقافي لدى الكاتبة الرائدة غادة السمان جوهر تطلعاتها، وحلمها في التغيير والسعي لبناء عالم أفضل، وهما الأساس الذي يقوم عليه الأدب، فتبدو «غادة» منذ محاولاتها الأولى للكتابة معنيّة بأدب الحوار وتقديم رؤيتها من خلاله، لما يمتاز به أدب الحوار من تفاعل حي بين المرسل والمستقبل، ولما يتمتع به من مباشرة ووضوح لا يحتملان أي لبس أو تأويل مقارنة بالأعمال الأدبية الأخرى غير المباشرة، كالقصة والرواية والشعر التي تخضع لقراءات تأويلية متعددة حسب طبيعتها الفنية القائمة على الرمز.

ويردِ اهتمام «غادة» بالمقابلات والحوارات إلى عوامل عديدة من أبرزها أن هذه الكاتبة التي آثرت قبل بنات جنسها أن ترمي نفسها بنار لهب الحرية المقدّس بشجاعة نادرة، وأسيء فهمها من كل الأطراف التي تدّعي حراسة التابو الاجتماعي، أو تحتكر لنفسها حق التسلط، فكان لابدٍ من حوار يجلو ما التبس في الأذهان من تحريف أو تشويه لدعوتها التحررية، وتحديد لتطلعاتها الحياتية والثقافية والإنسانية.

يقع الكتاب في 270 صفحة من القطع الكبير.

الأسبوع الأدبي
جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام 1986

المدير المسؤول: د. حسين جمعة
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيس التحرير: غسان كامل ونوس

مدير التحرير: عياد عيد

المدير الفني: نضال فهيم عيسى

هيئة التحرير:
محمود حامد - د. أحمد علي محمد - نبيل نوفل - رياض طبرة

ليس آخراً

غسان كامل ونوس

... في القلب!

لم يبدأ بك، ولا ينتهي..

هل كان في البدء خيارٌ، وهل هذا خيار؟!

الداعي يغيب، ولا صوت أو صدى.. والدعوة مبهمة، والملامة تحتار على أيّ عصب تحطّ، والندامة تتخبط في أيّ هوة تغور؛ النبض، ومن أوقده؟! الخطو، وما أسرجه؟! اللحن، ومن أداره؟! التوق، وما أُوارُه؟!

اللهفة وما حثّت. الوعد وما هيّج!!

الوقت، ومن حدده؟! الموعد من أخلفه؟!

لستَ في وارد الانكفاء؛ فالأرض جهات، حتى لو لم تكن مطروقة!

والنسمة لم تنتهِ من الإسرار..

والضوء لم يتعب من تَوالِيه، ولا الأمل يتخلّى عن تَعالِيه، والصمت ما يزال مكمنَ الهجس والوسواس والانبجاس..

... ليس انهزاماً؛ بل وخزة في القلب، ليحفّز الدّفق الأغنى.. ربما!

وليس انتصاراً؛ فالاصطراع مستحضر.. حتى مع النفس!

وليس استراحة المغامر؛ لستَ مغامراً إذن؟!

وليس نكوصاً، ما دمت قادراً على اتخاذ القرار..

العكارة ليست بسبب تخويضك المحموم فحسب، والنهر لن يرجع أو ينتظر أو يستقرّ، ولا الجريان بحسبان، ولا الضّفّة متّكَأ للرّاحة أو للشّرود.. ولا للتطلّع شرفات، ولا للآفاق ذرا، ولا للخلاص علامات فارقة!

أنت لم تأسنْ، ولم تأنسْ، وما كنتَ زائراً تائهاً، ولا ضيفاً طارئاً، ولا سارياً بلا نجم أصغر أو أكبر، ولا عارياً تحتاج إلى براءة أو سذاجة لتعترف، ولا مأخوذاً بذؤابة وطيف، ولا لائذاً أو عائذاً؛ فما كنتَ واهماً، وما أنت مخدوع بالأكمة، ولا مستطير إلى رحيق وبريق..

لكنّها الحكاية ولزومياتها، والقضيّة وانشغالاتها، والرّحلة ومحطاتها، والمهمّة التي لا تُستَرَدّ، والغاية التي لا تُحدّ، والأمانة التي تستغيث، والثقة بأنك المعنيّ!!

لستَ على مُفْتَرَقِ طرق أو مُنْقلَبِ أفق؛ فحيث تُوَلِّي ثَمَّ قلق وهمّ وعثرات، والتحسّس ليس مرضاً، ولا علاجَ يرتجى؛ والاستشعار ليس هلوسة، ولا تعويذةَ تُستنهض؛ والتلويح ليس هذياناً، والتحسّر ليس جُبناً، والخيبة ليست انتحاراً، والخذلان ليس قدراً، ولا الهَجْس خسراناً..

ولستَ خائفاً؛ فالآثم يتلوّى، والعفو مَضْيَعة للقيمة أحياناً، ولا في البال انتقام، والتروّي يُشعل حتى الاخضرار، والمصابرة علقم، والواقف ليس أقلّ جريرةً من المنحني، والرائح ليس أكثرَ تعلّلاً من الراجع!

السلة امتلأت وخزاً، والجدوى تنهدّ في الثغور؛ فهل هلّ أوان العبور حتى إلى دُوار آخر، في الأُسّ المُكتوي، أو المدار الملتوي؟!

لم يكن لوصول الغيمة موعد، وظِلُّها أحرقك؛

فهل تحتاج إلى الشمس، أو بغيمة أخرى تغتوي؟!

***

ghassan.wannous@gmail.com
www.ghassan-wannous.com